ارادة القتال

●

من خلال النظرة المثالية المبدئية ، تتراءى الحرب اداة للتدمير ، والقتل ، والتشريد ، فلا تكون حصيلتها ، عبر هذه النظرة ، الا شرا مستطيرا . لكن متى فرضت الحرب نفسها على الشعوب فرضا ، وغدا الاسلوب العدواني الاستيطاني خبزا يوميا لعدوها ، فان الشعوب تصبح في الخيار بين الشجاعة الكريمة ، او الجبانة الذليلة ، وامام هذا الخيار ، فان ارادة القتال وحدها تغدو مقياسا لاتخاذ المواقف .

واذا كان العرب ، طوال تاريخ حروبهم وصداماتهم مع اسرائيل ، منذ قيامها حتى اليوم ، قد عجزوا عن التعبير بلغة واضحة عن ارادة القتال التي تضج في نفوسهم ، وفي زنودهم ، وعبر فوهات مدافعهم وبنادقهم ، بل وفي كل حبة تراب من ديارهم ، ففي حربهم الاخيرة التي التمعت شرارتها يوم السادس من تشرين الاول (اكتوبر) الماضي ، توصلوا الى اضخم انجاز مطلوب في ظروفهم القومية والنفسية والعسكرية الحاضرة ، وذلك بتأكيدهم وتجسيدهم معا لارادة القتال عندهم ، ولامكاناتهم الحبيسة ، وطاقاتهم الخفية ، فاستعادت جيوشهم شرفها العسكري الذي تعرض للمحاذير على الصعيد المحلي والدولي ، كما استعادت شعوبهم ثقتها بنفسها وبقادتها ، وبقدرتها على مغالبة الذات والسير في الطريق المستقيم الذي ترسمه مسيرة التاريخ العربي المجيد .

وسواء أكان العرب هم البادئون ، في هذه الحرب ، ام كان الاسرائيليون هم البادئون ، فمما لا ريب فيه ان بدء الاسرائيليين بالحرب يعني مزيدا من الرغبة في الاحتلال والعدوان ، وان بدء العرب بالحرب يعني مزيدا من الرغبة في التحرير ، ومحو العار القومي اللاحق بهم من جراء الاستيطان الصهيوني في ارض فلسطين ، والاحتلال العسكري للاراضي العربية .

والعرب ، بعد هذا ، يمارسون ابسط الحقوق التي تقرها لهم مبادىء القانون الدولي العام ، وينفذون القرارات المتلاحقة الصادرة عن مجلس الامن الدولي ولا سيما القرار رقم ٢٤٢ ، ومن حقهم والحال هذه ، ان يرسل مجلس الامن قوات دولية لمساعدتهم على انفاذ مضمون قراره الاخير ، وتحرير الارض المغتصبة بقوة السلاح من العداة المتغطرسين .

ويهمنا ان نؤكد لمن تحدثوا ، عالميا ، عن خلفية الحرب ، وعن نشوب المعارك في يوم « عيد الغفران » الاسرائيلي ، ان منطق العدالة يستوجب ان يتذكروا حرائق النابالم الاسرائيلي واحراق المسجد الاقصى ، ومجزرة بحر البقر ، واسقاط الطائرات المدنية وقتل ركابها الابرياء ، ومذابح كفر قاسم ودير ياسين .. ولا نريد ان نعيد عجلة التاريخ القهقرى لنذكرهم بموقف « الشعب المختار » من السيد المسيح !

وفي قناعتنا ان هذه هي الخطوة العربية الاولى نحو حرب التحرير الشاملة ، وان الظفر مكتوب للعرب طالما استمسكوا بعروة الله الوثقى ، واحلوا التعاضد محل التنابذ ، واجمعوا امرهم على الجهاد المقدس من اجل عروبة فلسطين ..

فوزي عطوي



عامر محمد بحيري

حصاد السنين

بقلم عامر محمد بحيري

***

ديوان عامر

وفي رجوعنا الى الوراء مع الذكريات ، نجد اول كراسة حاولت ان اجمع فيها ما نظمت من الشعر ، في وقت مبكر ، للمحافظة عليه خوف ان يضيع ، وكنت يومئذ طالبا في السنة الثالثة الثانوية .. تطلعت الى ان تكون هذه المجموعة البادئة ، او الباكورة الناشئة ديوانا .. وتمنيت ان تكتمل ، فاراها مطبوعة ، كما ارى للشعراء دواوين مطبوعة .. ورحت وانا ابن الخامسة عشرة ، اتطاول الى مقامات لا يبلغها المرء عادة الا بعد تمرس وجهاد طويلين .. فاسميت هذه الباكورة .. « ديوان عامر » ..

والى هذه الكراسة الصغيرة العزيزة انظر اليوم ، فاجدها باكورة طيبة ، على قدر ما تحمل من مظاهر الضعف ، الا ان بعض ما فيها ينبىء حقا عما كنت اتطلع للوصول اليه في مستقبل ، يراه من حولي بعيدا ، واراه قريبا ..

وكانت الموضوعات التي اشتملت عليها هذه الكراسة – وهي غير مبوبة – تشتمل على قصائد يمكن ان يكون كل منها بابا خاصا ..

واهم ما في هذه الموضوعات القصائد الوطنية والسياسية ، التي كانت صدى لحياة الشباب المتطلع الثائر ، الذي كنت اعيش بينه يومئذ .. فحملت مجموعة الطالب الثانوي ، قصائد في رثاء سعد زغلول ، والدعوة الى الائتلاف ، ونقد معاهدة ثروت تشمبرلن .. كما اشتملت المجموعة ايضا ، على قصائد اخوانية موجهة الى بعض الاصدقاء والزملاء .

واول ما يلفت النظر في هذه المجموعة ، قصيدتان ، قيلتا في مطلع العام الهجري ، اسوة بما قرات في ديوان حافظ ابراهيم وغيره يومئذ .. ففي مطلع العام الهجري ١٣٤٦ ، وهو يوافق صيف ١٩٢٧ .. نظمت قصيدة حكيت فيها رؤيا رأيتها ليلة راس السنة ، تتمثل في عجوز توجهت الى « محطة القاهرة » لتسافر في القطار ، وبينما الناس مجتمعون لوداعها ، اذ نزلت من القطار غادة هيفاء صغيرة السن .. فترك الناس تلك العجوز وتوجهوا الى الصغيرة ، يحتفون بها .. وكأنما كان هذا رمزا للسنة الماضية ، والسنة الحاضرة .. ومطلع هذه القصيدة يقول :

في ليلة هم الكرى بوصالها — وعيونه اكتحلت هوى بجمالها

وهو مطلع قوي ، الى جانب ابيات ضعيفة تليه .. وكان اكبر مظاهر هذا الضعف ينحصر في خطأ عروضي غير مقصود ، وهو تغيير الف الاسناد في القافية الى واو او ياء .. فكلمة « بجمالها » تحولت في ابيات تالية الى « وصولها » .. و « رحيلها » .. خطأ يعذر فيه طالب ثانوي .. وفي وصف حكاية الحال التي ذكرتها ، تقول القصيدة :

واتى القطار فاسرعوا لما رأوا — تلك الصغيرة غادة بدلالها
في هودج ضمت عليه هالة — حوت الهلال بحسنها ، وكمالها
فرفعت انظاري الى انوارها — وطلبت خيرا .. ناظرا لهلالها

وفي العام التالي ١٣٤٧ هـ (صيف ١٩٢٨م) نجد قصيدة اخرى ، طويلة ، والابيات الجيدة فيها قليلة ايضا .. وهذا مطلعها :

عام مضى ، لا عاد بعد ترحل — قد كان عاما مدبرا ، لم يقبل
يا ايها العام الجديد تحية — منا اليك ، تحية المستقبل
اقبل علينا بالسعادة ، لا تكن — كاخيك ، حز رقابنا كالفيصل
كن مثل شهد النحل حلوا طعمه — او كالزلال ، ولا تكن كالحنظل

وتشتمل المجموعة على قصيدة وطنية هامة ، نظمت في اوائل عام ١٩٢٨ .. عنوانها « السياسة » بعد فشل محادثات ثروت باشا والسير اوستن تشمبرلن .. وليس في هذه القصيدة من مواطن الضعف ما في سابقيتها ، ولعل الروح الجياشة التي دفعت الى نظمها كانت سببا في ذلك .. فلنسمع منها عدة ابيات .. تقول في مطلعها:

كشفوا لنا عن قصدهم فاذا به — سم زعاف ، سال في اكوابه
حسنا بدا للناظرين ، وسيئا — لو فكروا فيه ، وفي اسبابه
يبغون شرا بالضعيف ، وطالما — ظلموا ، وظلم المرء أس خرابه
ربع البسيطة اصبحت املاكهم — والبحر قد ملكوه من أبوابه
والجو خاضوه بطياراتهم — وتشاركوا مع بازه وعقابه
الله يخذلهم ويضعف امرهم — ويرد جيشهم على اعقابه
لا يستطيع القاسطون تقدما — والحق كان النصر في اصحابه

وتمضي القصيدة في الفخر . فتقول :

ل مصر قوم كالليوث روابض   يبغون الاستقلال من اعتابه
رلوا الحياة سعيدة بمجبنه   وراوا سواد العيش عند ذهابه
صدقت عزائمهم وصح جهادهم   وخطوا بعيدا في عريض رحابه
سلوا سيوف الحق من اغمادها   كاللبب كان سلاحه في نابه

وبنظرف الحديث الى السبيه . ومشروع المعاهدة الفاشل .. فيقول :

ان المعاهده التي يبغونها   لسنت نعني بحنوله وطلابه
هي الاحتلال بعينه .. ونخالل   منا اذا نرضى ببصم كتابه
هي عجم عود الشعب بعد زعيمه   وهي امتحان الشعب بعد مصابه
هي خطة لا نستطيع قبولها   ومخدر للنيل في اعصابه

وتلخص القصيدة في فترتها الاخيرة موقف الامة بطوائفها من عمال وفلاحين وطلبة . ازاء الاستقلال وقضيته .. كما تسبق الى الدعوة لمشاركة المراة في الجهاد لتحقيق الاماني الوطنية .. فتقول :

انا عقدنا العزم منذ نهوضنا   لا نستكين لغاصب وعذابه
منا الذي ضحى بغالي عمره   وبماله ، والحر من القابه
والمراة اشتركت بميدان الجها   د ، ووجهها لم يستتر بنقابه
قمنا ، فمن عمال وادينا الى   زراع تربته ، الى طلابه
كل يجاهد في سبيل بلاده   وبنارهم والسيف ليس بآبه
انا اذا قلنا فقول صادق   واذا فعلنا كان فعل النابه
واذا اتانا الضيف اكرمنا وفا   دته .. فكنا من اعز صحابه
فليحذر الجبناء ان يتعرضوا   فالله يهزأ فيهم بعقابه
والحق لا يعلى عليه .. وانما   يعلو من الهضام فوق رقابه

وفي المجموعة تشطير لثلاثة ابيات ، سمعت احد الخطباء الوطنيين يلقيها ، فرأيت ان اقوم بذلك التشطير .. ولعل في عرض هذه الابيات مع تشطيرها هنا ، ما يدل على قرب المستوى بين الاصل والابيات المضافة .. وقد وضعت الابيات الاصلية بين اقواس .. فيما يلي :

(بني وطني بنا لعب العداة)   فاين الاسد منا والكماة
لقد لعبوا بنا من غير حق   (وذل عزيزنا ، فلم الحياة)
(وماذا عنكم التاريخ يروي)   وفي التاريخ قد صدق الرواة
وماذا يفعل الاعداء فيكم   (اذا في الجد خانكم الثبات)
(اذا لم تحفظوا وطنا ودينا)   وليس لمصر غيركم حماة
ولا كشرتم عن ناب ليث   (فكيف بكم تسر الامهات)

ولم تكن الوطنية قاصرة على قصائد المناسبات ، ولكنها كانت تعبر عن عاطفة جياشة تعتمل بها نفس الشاب ، تتأجج نارها ، ويشتد اوارها .. فكان يعبر عن ذلك احيانا بمقطوعات قصيرة .. منها مقطوعة بعنوان « يا حسرة على مصر والمصريين » .. يقول فيها

ولي غرض ما زال يبعد نيله   وارجو له قربا.. ولكن متى، متى
كاني وحيد في الحياة ، مضيع   فيا سوء حظي ، ليتني كنت ميتا
ارى مصر تجري للوراء تقهقرا   وكانت لاصل المجد مهدا ومنبتا
فابكي على المجد القديم وقد ذوى   وابكي على جمع بها قد تشتتا
فيا حسرة يا مصر، نجمك قد خبا   اليس بوادي النيل غيري من فتى
فيا قوم هبوا كي تنالوا حقوقكم   ولا تتركوها للدخيل ليشمتا
وكونوا رجالا مشرئبين للعلى   وهاكم مثال الجد.. سعدا، وثروتا

وفي قصيدة اخرى يروض القول ، عارضا للفكرة التي تقول بأن العرب كان لهم الاثر البارز في الحضارة الاوروبية منذ عصر النهضة .. فيقول :

فهل نسي الفرنجة يوم كنا   نعلمهم .. كتعليم الغلام
وهل نسي الفرنجة يوم كنا   على رغم الانوف اولى المقام

فاذا انتقلنا الى القصائد الاخوانية ، وجدناها كثيرة .. خفيفة الظل .. لانها مما يجري بين اصدقاء وزملاء ، اكثرهم يروض الشعر ، ويقوله كما يقوله صاحب الديوان .. وساكتفي هنا بالاشارة الى قصائد وجهتها الى شقيقي الاكبر ، الذي كان يعمل يومئذ بالسودان ..

قرات مع شقيقي الشعر ، منذ وقت مبكر ، وتأثرت بنشاطه الادبي ، فقرأنا معا ديوان المتنبي ، وسقط الزند لابي العلاء ، وديوان حافظ ابراهيم .. وكتابا عنوانه « شعراء العصر الحاضر » كان يضم قصائد لشوقي وحافظ ومطران ومحرم ونسيم وولي الدين يكن والبارودي والبكري .. وغيرهم .. وكان اخي ينظم الشعر ؛ وقد حفظت من شعره قصيدة نظمها عام ١٩٢٤ .. وكان في العشرين من عمره .. يذكر فيها الحوادث السياسية ، التي جرت يومئذ ، ابان حكومة سعد زغلول في مصر ، وتأليف جمعية اللواء الابيض في السودان .. وفي هذه القصيدة يقول شقيقي :

امرارة في عيشنا نسقاها   ام محنة من دهرنا نلقاها
ام قد دهانا ما دهى آباءنا   فانسدت الطرق التي رمناها
ام قد تسجل في كتاب حياتنا   ان السعادة شائك مرقاها
كلا ، فلا هذا ولا ذاك الذي   من اجله تلقى العباد شقاها
لكنه اهمالكم لبلادكم   فكانكم لم تخلقوا لحماها
انتم جنود بلادكم وبلادكم   نادت لنجدتها ، فضاع نداها
ويل لأم .. قد طغى ابناؤها   فتعمدوا اضرارها واذاها
قد (صابها) سهم الدخيل بقلبها   افهل تنكس راسها برضاها
يا قوم كفوا ، فالحقيقة فاحسن   نكرانها .. قد خاب من دشاها
يا قوم ما هذا التخاذل بيننا   فبلادنا محبوبة نهواها
يا قوم لموا شعثكم وتعاهدوا   وتكاتفوا عونا على بلواها
افهل تبيعون الحياة لغاصب   تبغون منه عطية اوجاها
ولو انكم فكرتم لوجدتم   ان العطية انتم منشاها
ولو انكم فكرتم لعطية   تأتيكم من سارق اياها
لعلمتم كم تسترق رقابكم   وعلمتم كم تستحل رباها
(فاخشوا) الاله، وبادروا لنجاتها   فبلادكم مغصوبة لعداها
وليستح ابن النيل وابن المجد ان   تستعبد الاوطان او ابناها
فبلادنا اولى بنا ، وبلادهم   اولى بهم .. مهما يطول مداها
ولكل حق حد سيف قاطع   ولكل شعب حرمة يرعاها

وجدت في المجموعة التي نحن بصددها ثلاث قصائد موجهة الى شقيقي الاكبر المرحوم عبد الفتاح عامر بحيري . (انظر مرثيتي له بعنوان « شقيقي » في عدد مجلة « الاديب » .. الصادر في شهر يونيه ١٩٧٢) .. وسوف اشير الى هذه القصائد في ايجاز .

الاولى نظمتها في صيف عام ١٩٢٧ ، عند نزوله بالاجازة الى مصر .. فقد دعوت الى اقامة حفلة شاي منزلية .. والقيت في الحفلة قصيدة ظلت مشهورة فترة طويلة في اوساط العائلة .. وفيها ابيات جيدة .. ففي مطلعها :

اقبل البدر من وراء السحاب   يبعث النور بعد طول الغياب
بعد عام مضى عليه طويل   وهو ناء عن اهله والصحاب
بعد عام في البدء كان كقرن   خاله البعض طول يوم الحساب
ثم ولى كانه نجم ليل   جاءه الصبح آمرا بالذهاب

ومنها :

ايها البدر ، ان يومك هذا   يوم عيد .. للاهل والاحباب

وفي ختامها :

يا شقيقي العزيز ، اقبل وذلل   كل صعب من امهات الصعاب
يفتح الله للمجد طريقا   وينيل المأمول للطلاب
ثم ان الاسفار فيها انتفاع   من علوم وصحبة واكتساب
ما خلقنا الا لنلقى شقاء   ونقاسي الاتعاب فوق التراب
زادك الله انعما وكمالا   وهدانا الى طريق الصواب

وفي القصيدة الثانية التي نظمت في اوائل الصيف من عام ١٩٢٨ .. اذكر ايام الطفولة في السودان ، واعبر عن الشوق الى القطر الشقيق .. في خطاب موجه الى الاخ الشقيق .. فأقول :

سلام الى السودان من مصر سائر   ففي القلب حب كامن لا يغادر
سلام على الارض التي كان مهدنا   عليها ، فاقصانا عن المهد قاهر
سلام عميق من قلوب وفية   لرؤيا الصحاب الاوفياء تبادر

ثم اقول :

الا يا اخي هذا سلامي ابثه   اليك ، على هذا النسيم يسافر
هو الحب قد امسى بقلب مدله   وانت به ادرى ، فهل انت ذاكر
الا انه ثارت شجون كثيرة   لبعدك عني ، والحبيب يشاطر

وفي ختامها اقول ذاكرا السودان مرة أخرى :

سلام على السودان ما دام ذاكرا   لمصر ، وما نال المراد مثابر
ودم في سرور كل يوم وليلة   ولا تنسني، اذ ليس ينساك (عامر)

اما القصيدة الثالثة ، فهي مقطوعة صغيرة من اربعة ابيات ، ارسلتها اليه تهنئة بعيد الفطر المبارك .. وهي اصلح ما يرسل في مثل هذه المناسبة .. واجود .. وهي :

صمت بالخير وافطرت به   فهنيئا لك ، تحيي وتعيد
زادك الله كمالا وهدى   ورغيد العيش ، والعمر المديد
فاحمد الله على آلائه   واطلب الخير ، وقل هل من مزيد
قرب الله لقاء بيننا   وسلام لك مني كل عيد

وهناك قصيدة جيدة ، قلتها عندما حصلت على شهادة الكفاءة عام ١٩٢٨ .. فيها تطلع الى المستقبل ، وتوثب لاكتشاف المجهول .. وهذه الابيات في مطلعها :

بالصبر يحظى بنيل المجد نائله   وبالثبات تني عنه عواذله
وباجتهاد وتعذيب وتضحية   يقام معوجه منه ومسائله
من يطب المجد يسهر غير مكترث   ولا مبال باهوال تقابله
ومن تطلع للعليا وهام بها   فليس شيء سوى العليا يشاغله
والمجد لا يستطيع القرم ماخذه   حتى تشوى على جمر انامله

ومنها في الفخر :

قد قمت ابني بناء المجد من صغري   ومن كبار الورى من لا يطاوله

وفي القصيدة مقارنة بين الجهاد بالسيف ، والجهاد بالقلم .. فقلت آخذا جانب القلم :

قدما بنى العظماء المجد عن حرب   فكان مر لياليهم يضائله
واليوم بالعلم ابنيه وارفعه   فلا يموت اذا ما مات فاعله
مجد الحروب لجبار يريق دما   فذلكم سار فوق الحق باطله
لكن على الحق مجد العلم ذو أسس   قوية ، حين قوتها فضائله

على انني ، في قصيدة اخرى .. دعيت للاشتراك في مناظرة .. وكان نصيبي فيها ان ادافع عن السيف في مواجهة القلم .. و لمناظرات كانت تقام بين الطلاب للتمرس على الكلام والتمرن على الخطابة . وهكذا حفظت المجموعة ابياتا .. قلتها دفاعا عن السيف .. وهي هذه:

بحد السيف مكرمة تنسال   اذا احتدم التخاصم والجدال
هو الجد الذي لا هزل فيه   فلا يأتيه عي او هزال
فما هو غير تنفيذ وفعل   وكيف بجانب الفعل المقال
وليس يكل حد السيف يوما   ولكن يعتري القلم الكلال
اذا لمع الحسام بكف قرم   تخر له الجبابر ، والجبال
يلوث وجهه بدم الاعادي   ويغشى الحرب يغشاه الجلال
ارى يا معشر الاقلام سيفا   له في الفخر دونكم مجال
يشقكم .. وان انتم عظمتم   ويبريكم .. اذا احتدم النضال
رأيت السيف محفوفا بنور   كأن السيف صيقله هلال
وتحسبه اذا ما اهتز عجبا   نجوما في المياه لها خيال
فكيف يصاحب الاقلام شهم   تدين له مهندة صقال
اذا وضح النهار يفيض نورا   فما لليل .. الا الاعتزال

واجمل ما اختم به الحديث عن هذه المجموعة .. هو الابيات التي وضعت في اولها وعنوانها « الشعر » .. وفيها كنت اقول :

اذا كنت تهوى الشعر ، فالشعر يعذب   ويحلو ويزهو منه ما ليس يكذب
فلا تنظمن الشعر الا بلاغة   وصدقا ، اذا ما كنت في الشعر ترغب
فما الشعر الا حكمة لا تشوبها   شوائب نقص منه يبلغ مارب

رحم الله تلك الايام ، ايام الجهاد الاول ، والشباب الطاهر ، والايمان الصادق ..

مصر الجديدة   **عامر محمد بحيري**

خماسيات شعرية

★

قالوا التجارة لا تليق بشاعر
زاهي الاماني زاهر الآمال
فاجبتهم لكنها ما استعبدت
فكري ، ولا هاضت جناح خيالي
هيهات اطمع بالثراء ، وثروتي
ذكر اتيه به على الاجيال
انا كالهزار يعيش رغم اساره
بين الربى والسهل والادغال
الشعر يبرأ والعلى من شاعر
يطوي رسالته لاجل المال

بوانس ايريس   زكي قنصل

زوجتي الشهيدة

الى روح الشابة الطاهرة السيدة عصمت احمد عبد المالك في فردوس السماء

للدكتور محمد رجب البيومي

●

أكباد أطفالي دهتك النار ... ايعيش في لهب الجحيم صفار
أكباد أطفالي كففت مدامعي ... ورايتكن فهاجني استعبار
لم يا حمام هصرت غصن شبابها ... وله زهور غضة وثمار
دع عنك ناضرة الغصون تظلنا ... وخذ الذوابل انهن كثار
أوصرت تهوى الحسن، تلك قضية ... نهض الدليل بها فلا انكار
شاهدتها رفافة ببهائها ... يزهى بها أهل وتشرق دار
ولها على رغم الصبا وفتونه ... مثل العقائل هيبة ووقار
زاد الجمال عفافها اشراقة ... فهما بعيني معصم وسوار
شاهدتها بسامة في بيتها ... مهما طفت من حولها الأكدار
تستل بالبسمات حزن قرينها ... فله بطلعة وجهها استبشار
تغشاه اخطار فتنفث جرأة ... في صدره تمحى بها الاخطار
فيهب لا متضعضعا بل واثبا ... وله جناح في المدى طيار
وتخور عزمته فيذكر وجهها ... متألقا ببهائه فيثار
شاهدت منزلها بها اغرودة ... رنت فهش للحنها الزوار
متعهد الأفلاذ في أحضانها ... بهوى له بين الضلوع اوار
لو تستطيع تردهم لضلوعها ... صونا لهم من أن يهب غبار
لم يا حمام فجعتهم برحيلها ... وهمو فراخ في العشاش نثار
لم تعتمدها بل اردت نكايتي ... عجبا، وما بيني وبينك ثار

اني لأحذر من دخولي منزلي ... هلعا، وما يغني لدي حذار
من ذا اواجه اذ ابادر غرفتي ... (لا أنت أنت ولا الديار ديار)
اتمثل الاطفال في حسراتهم ... فافر اذ لا يستحب فرار
كل يسر شجونه متحرقا ... كمدا، ولا يخفى علي سرار
وتجيء (غادة) وهي ذات ثلاثة ... ولها كربات الحجا استفسار
فتقول: امي يا أبي قد أبطأت ... بالله أين مكانها؟ فتزار
حل المساء ومرقدي بجوارها ... أأبيت وحدي، ما لدي جوار
لم تدر ما حجم المصيبة ويحها ... وانا بها ادرى، فكلي نار
اترى سمعت سؤالها فرحمتها ... ونهضت، لكن عاقت الأقدار

اتظل هذي الشمس ترسل نورها ... ولمن؟ وفوقك هذه الأحجار
لم يا ضياء الشمس لن تلج الثرى ... فتحوطها في قبرها الانوار

أيمتع الاوغاد دونك بالسنى ... فاذا أردت تكاثفت استار
أبدي التصبر بين أطفالي لكي ... ينسوا ، وما أنا بينهم صبار
وأرى دموعهم تفيض فتقتدى ... عيني بهم ، ويسوقني التيار
واذا الكبير بكى بمشهدهم فقد ... قامت لدمع صغاره الأعذار
زوجاه ، واكبدي عليك، شققتني ... حزنا كجذع شقه المنشار

يا أخت ضاحكة الورود أهكذا ... لربا الفرادس تنتمي الأزهار
ان كان من عبق يشم لدى الربا ... فلديك منه الجوهر المعطار
تتمايلين مع النضارة دوحة ... زهراء فضض تاجها النوار
مرأى وظل سابغ وفواكه ... أوكل ذلك تحمل الأشجار
عجلت للفردوس رحلتك التي ... يزهى بها أبراره الاطهار
وتركت بيتك في مهب زعازع ... متوجسا من ان يحل دمار
لو كنت في هذي الحياة اسامتني ... يوما ، صبرت اذن ، وحان قرار
واقول أنثى في الحسان كغيرها ... ينأى بها في النازحات مزار
لكنني طالعت عمرك باحثا ... عن موقف فيه عليك غبار
فاذا كتابك ناصع متالق ... واذا مصابي فادح قهار
لم لم تسيئيني فتلك مشيئتي ... وأنا بمحض ارادتي أختار

يا أخت نيرة السماء وضاءة ... هل للكواكب في التراب مدار
بخلت عليك القبة الزرقاء أن ... تجلى بها ، والنيرات تغار
فهويت للغبراء كنز صباحة ... لا تفتديه فضة ونضار
متغزل أنا فيك رغم مصيبتي ... مهما يضج الناقد الثرثار
انكرت وصفك في الحياة تزمتا ... ايجوز لي بعد الردى الانكار
ان كان وصف الحسن فيض مشاعر ... فلام يكبت صوته الهدار
لالآت آفاق الحياة بناظري ... فظلامها قبل الهزيع نهار
أيام بسمتك الرقيقة بلسم ... والجرح في دامي الحشا نفار
أيام نظرتك العطوف سكينة ... للنفس بات يرجها الاعصار
أيام همتك الطموح تقيلني ... ان طاف بي ضعف ولج عثار
وأنا الضعيف فمن يعين كهولتي ... بشبابه ان حاقت الاخطار

قد كنت راصدة خطاي فهل ترى ... بلغتك عني في الذرى الاخبار
أنظرت من أعلى السماء هنيهة ... فرأيت صرح سعادتي ينهار
ألمحت سيري في الشوارع هائما ... حيران ، لا جلد ولا استقرار
أخشى اصطداما في الطريق تتيحه ... سيارة او حفرة ، وجدار
أرأيت كيف تصير تعزية الورى ... نغرات جرح هاجه التذكار
أجفوا لأنام تفردا بكآبتي ... فاذا اضطررت ، فوحشة ونفار
أشهدت حدة الانفعال بسحنتي ... فأنا به متضعضع خوار
ان كنت شاهدتي اذن فلتشفعي ... لي عند ربك ، انه غفار

الرياض ـ كلية اللغة العربية ... محمد رجب البيومي



عبد الرزاق الهلالي

شاعر من العراق

احمد عزت باشا الفاروقي

١٢٤٤ هـ ــ ١٣١٠ هـ
١٨٢٨ م ــ ١٨٩٢ م

بقلم عبد الرزاق الهلالي

* * *

توطئة : لقد اشتهر في القرن الثالث عشر الهجري ، من آل العمري في العراق شاعران كبيران ، هما الشاعر الشهيد المرحوم عبد الباقي العمري ، وابن اخيه المرحوم احمد عزت باشا الفاروقي . الا ان الملاحظ هو ان الاول ، قد حظي باهتمام مؤرخي الادب في العراق وخارجه ، في حين لم يحظ الثاني بجزء من ذلك الاهتمام فما سبب ذلك ؟!

لعل السبب في هذا الاغفال راجع الى ما كان قد اشيع عن التهام النيران التي شبت في داره باستانبول ، لديوان شعره وما خلف من دراسات ، نقول انه قد اشيع ، ذلك لان نسخة من ديوانه كان الاديب الاستاذ بهاء كمال الدين ، قد عثر عليها ثم ان هذا الاديب الفاضل شاء ان لا يحرم الدارسين من الوقوف على هذا الاثر الادبي ، اذ اباح للمجمع العلمي العراقي تصوير هذه النسخة للاحتفاظ بها في مكتبته ، وهي اليوم تحمل رقم (١٦٧\م) في قسم المخطوطات من هذه المكتبة وقد افدنا منها كثيرا ، فللاستاذ بهاء شكرنا وتقديرنا .

فمن هو هذا الشاعر العراقي يا ترى ؟!

احمد عزت : هو ابن المرحوم محمود بن سليمان العمري الفاروقي الذي ينتهي نسبه الى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جهة الاب ، اما امه فانها من السادة الاعرجية المشهورين في الموصل .

ولد احمد عزت في مدينة الموصل في اواخر سنة ١٢٤٤ هـ ــ ١٨٢٨ م فنشأ في كنف ابيه ، ولما بلغ الرابعة من عمره ، ألزمه قراءة القرآن الكريم ، حتى اذا انتهى منه وهو في سن السابعة ، واصبح بعد ذلك قادرا على فهم ما يتلقى من معلومات ، روى قراءة (حفص) على استاذه المرحوم عبد الرزاق الجبوري !

السفر الى بغداد : وحين بلغ العاشرة من عمره طلبه عمه ، الشاعر الكبير عبد الباقي العمري ، للاقامة معه في بغداد ، فارسل الصبي الى عمه حيث بقي في رعايته نحوا من ستة اشهر ، افاد خلالها كثيرا ، فقد درس « شرح الفية ابن مالك » لجلال الدين السيوطي ، على استاذه الشيخ اسعد الموصلي ، ولما رجع الى مسقط راسه ثابر على الدرس والتحصيل ، فقرأ الفقه وعلم الحساب ، وطرفا من علم الوضيع على الشيخ عبد الرحمن الكلاك ، كما قرأ « جمع الصغير » وجمع الكبير » على الشيخ عبد اللطيف الكلاك ، بينما قرأ « الايساغوجي » وعلم البديع ، وطرفا من علم المعاني والبيان ، والقراءات السبع ، على رئيس العلماء ، الشيخ عبد الله افندي العمري !

الى بغداد ثانية : وفي اوائل سنة ١٢٦١ هـ ــ ١٨٤٥ م ، استدعاه عمه ثانية ، للاقامة معه في بغداد ، فشخص اليه ، راغبا في استكمال عدته على يديه ، وعلى كبار الاساتذة القريبين منه ، ولذلك لم يكد يستقر به المقام في حمى عمه ، حتى اخذ يحقق هذه الرغبة ، فاكمل على عمه دراسة فنون الشعر والادب ، وقرأ كتاب « شرح الشمسية » و « ابن عقيل » على علامة عصره المرحوم أبي الثناء الآلوسي ، وكتاب « تشريح الافلاك » على الشيخ احمد السننذجي ، واتقن اللغة الفارسية على يد الشيخ طه السننذجي .

الشاعر الشاب : وهكذا وفي مثل هذا الجو الادبي ، تفتحت قريحته ، واحب الشعر والادب ، واصبح ، وهو ذلك الشاب اليافع ، اديبا ضليعا وشاعرا رقيقا ! وتوضيحا لما تقدم ، لنقرأ ما كتبه عن حياته في هذه الفترة حيث قال : « ثم انني لما وردت بغداد ، مدينة السلام . لخدمة العم المبرور ، الذي تتحلى بقلائد شعره نحور الصدور ، فريد اوانه ، ونابغة الانام ، وحسان آل النبي ، عليه الصلاة والسلام ، حضرة الفاروقي الافخم ، عبد الباقي افندي المفخم ، وكان اذ ذاك ، غصن شبيبتي غصنا رطيا ، وفودي غربيا ، وفوادي

مفعما من حب الادب ، الى عقد الكرب ، وجدت كافة الفضلاء تجتمع في ناديه ، وتعرض الشعراء ، اشعارهم بين يديه ، يرتضي منها ما يرتضيه ، لانه كان منتدى الكمال ، ومحط الرجال من الافاضل والرجال ! »

ثم يقول متحدثا عن احد رواد هذا المنتدى ، الشاعر الشهير ، عبد الغفار الاخرس .. « فاستفزني الشوق ، وهزني التوق ، الى استماع النظم والاشعار التي هي للاديب السيد عبد الغفار ، وكنت اميل لحسن نشيدها ، وصوت ترديدها ، ولطف تغريدها ، ميلان المحب الى المحبوب ، واشتاق الى رؤيتها وروايتها ، ولا شوق سيدنا يعقوب ، بل لا زلت انظر بعين الهيام الى ذلك الكلام والنظام نظر الشيخ الى وجه الغلام ، وكلما وجدت مقطوعة من مقاطيعه ، وقصيدة من ترصيعه وتصريعه ، اثبتها عندي ، بمكان عزيز واحفظها في سفط حريز ، حيث اغلب هؤلاء المدوحين المكرمين ، والذوات المحترمين ، كانوا يجتمعون كعنقود الثريا ، ويتنادمون بالطف الابحاث ، بما يفوق رقتها على لطافة ، وقلما انشد الوما اليه قصيدة لاحد الذوات ، أوفاه بشيء من الغزل والابيات ، الا وانا حاضر لديهم ، ساقط سقوط الطل عليهم ، فاجتمع عندي من ذلك النظم والبيان ، رياض ذات فنون وافنان وروح وريحان !! »

وليس من شك في ان هذا الاتجاه نحو الادب ، وهذه الرعاية ، وذلك المنتدى الرائع ، كل هذه قد ساهمت في تكوين شخصية هذا الشاب اللامع وعملت على صقل مواهبه في الشعر والادب !

بينه وبين الآلوسي الكبير : ومن اجمل ما وقفنا عليه من الصور التي تبين مقام هذا الشاعر الشاب ، تلك الكلمة الرائعة التي كتبها العلامة أبو الثناء الالوسي على اثر تسلمه بعض القصائد التي بعث به اليه هذا الشاب ، حين كان في استانبول سنة ١٢٦٨ هـ – ١٨٥٠ م . وهذه الكلمة مثبتة في كتابه الشهير الموسوم بـ « غرائب الاغتراب ونزهة الالباب » جاء فيها قوله مادحا احمد عزت : « الشاب الذي اقعد على الاعجاز صدور الشيوخ ، واستفز برزانة كلامه ، وصرير اقلامه ، ارباب التمكين والرسوخ ، من هو في خلدي ، وحق أبيه وعمه ، بمنزلة عبد الله ولدي ، حضرة الاجل الاشيم ، احمد عزت افندي ، كان الله تعالى له ، فيما يسر ويبدي ! كيف استطيع شكرك ، واني اكافيء مزيد فضلك ، بمجرد الدعاء لك ، وانت الذي آنستني في وحدتي ، وأنسيتني جميع أسرتي ، في غربتي ، واضأت علي يومي ، وكان ظلمات ، بعضها فوق بعض ، واعدت في جسدي دمي ، وكان قد ذهب به (قمل الخشب (١)) بتوالي المص والعض ! فأسأله تعالى ان يوفقني لمكافاتك ويتم سبحانه، نعمته علي ، بعوائد العود الى ملاقاتك !! »

السفر الى استانول : ولما كانت استانبول ، عاصمة دار الخلافة ، مطمح اصحاب الهمم والعزائم الراغبين في الحصول على ما يتلاءم وقابلياتهم ، فقد قرر شاعرنا الشاب ، السفر اليها ، اذ قصدها في سنة ١٢٦٩ هـ – ١٨٥١ م ، ولم يستقر به المقام فيها قليلا حتى تمكن بمساعدة بعض الشخصيات هناك . من تعيينه كاتبا في (دائرة الرسومات) التابعة لوزارة المالية ، واستطاع خلال وجوده في استانبول ان يتعرف بكثير من الادباء والشعراء الاتراك والشخصيات الكبيرة فيها .

وقد حدثنا المرحوم العمري ، عن سفرته هذه قائلا . . .

« .. اما بعد ، فيقول العبد المفتقر الى ربه الغني في السراء والضراء ، احمد عزت الفاروقي ، من اهل بلدة الموصل الخضراء ، انه لما ساقني سابق القضاء ، وهداني هادي التوفيق ، الى الخروج من بلدتي الحدباء ، ووردت القسطنطينية العظمى ، دار الخلافة الكبرى ، صينت عن المخاوف والبلاء ، فكنت كمن خرج من الضيق الى حيز الفضاء ، لا زلت أمرح في تلك الارجاء ، وانحاز في تلك الانحاء ، فأويت الى ركن شديد ، محكم التأسيس والبناء ، وقلت تحت ظلال حضرة ، هي مركز الافتاء ، الا وهو الفرد الذي اختص بالانظار السلطانية ، فتبلجت به الامور ، تبلج ابن ذكاء ، وشفى بمعجون تدبيراته المستقيمة كل داء ، حضرة الافخم (محمد كاني باشا) المفخم وفقه الله لما يشاء ، كلما شاء ، فكنت في تلك الاثناء ، منحازا في زمرة من هم في خدمته من كتاب الحساب والانشاء .. الخ » .

كما انه اثبت في ختام رسالته هذه التي بعث بها الى (محمد كاني باشا) قصيدة طويلة مطلعها :

أنت الامين وهذه الاعضاء   بعضا لبعض كلهم امناء

وقال فيها :

فلقد أتيت الى (فروق) انها   بلد تدين لحبها الاهواء
فرأيتها (أم القرى) وجميع من   في الخافقين لنسلها أبناء
هي جنة الدنيا فما بال النقا   في منحنى الجرعا وما البطحاء
فاترك أحاديث العراق وحاجر   ما الموصل الخضراء ما الزوراء
فهي التي من لطفها وصفائها   سال النسيم بها وقام الماء
فحللتها أبغي الثراء وكل من   في الكون مثلي قصده النعماء
فاستنقذتني من همومي كف من   كف له في سعيها بيضاء
أعني الامين على خزائن ملكنا   والملك تكثر ما له الامناء
ذاك الذي شكري لعز جنابه   تعنو لحسن نشيده الشعراء

في قونيه : ولم يطل بقاؤه في عمله في استانبول ، اذ نقل منها الى (قونية) لاشغال منصب (رئيس الكتاب) فيها . وقد ظل في منصبه هذا بضع سنين ، الا انه كان يتردد خلالها لزيارة استانبول ، مجددا ما كان بينه وبين ادبائها وشخصياتها من علاقة ود وصداقة ، وقد بدا في

١ – يقصد بذلك الحشرة المسماة بالتركية (تخته كالسي) وهي حشرة صغيرة تشبه القمل وتكثر في البنايات القديمة ذات السقوف الخشبية . وكانت تكثر في استانبول ودمشق لكثرة هذه البيوت الخشبية السقوف !!

هذه المرحلة من حياته نشيطا في حقل الشعر والادب باللغتين العربية والتركية ، وقد تعرف في احدى زياراته تلك ، بالكاتب الكبير المرحوم احمد فارس الشدياق منشيء جريدة « الجوائب » في استانبول آنذاك ، وقامت بينهما علاقة صداقة متينة كما سنرى . ثم انه عندما كان في قونية ، نشأت بينه وبين بعض شعراء وادباء حلب ومصر والشام روابط ادبية طيبة ، اثمرت قصائد يحفل بها ديوانه !

التوسط للنقل من قونيه : ويبدو لنا من تتبع حياته في قونية ، انه لم يكن قادرا على الحياة فيها لقلة راتبه ، وما ركبه بسبب ذلك من ديون ، ولما كان يعتقد انه اهل لتولي منصب أعلى ، فقد بعث الى احد المسؤولين في استانبول وهو (مخلص افندي) بقصيدة يستعطفه فيها، شارحا له حاله قائلا :

معروض عبدك (احمد) وافاكا   يشكو النوى لكنه يخشاكا
ارجوك تخليصي من الدين الذي   امسيت منه لا أطيق حراكا
فالدين أثقل كاهلي ولعلني   أنجو بحسن عطاك من ذياكا
وحوائجي تقضي لديك وانها   من بعد تحصيلي لحسن رضاكا
تعيين عبدك (للنظارة) فهي من   دون الانام قد اعتزت لعلاكا
اوفى (معاش) زاد عما في يدي   مقداره فاسمح بذا أو ذاكا
لا تحرمني من مراحمك التي   وسعت نداها من هنا وهناكا
هذا المعاش يزيد عنه مصرفي   مذ كان مأمولي جزيل نداكا

مناصب عالية : وقد اثمر هذا التوسط ، اذ تم نقله من قونية في سنة ١٢٨٤ هـ ــ ١٨٦٧ م الى بغداد لاشغال منصب كاتب العربية في مركز الولاية . وقد مر وهو في طريق عودته الى العراق بمدينة حلب الشهباء ومكث فيها بضعة اسابيع ، كانت له خلالها مناظرات ومشاركات ادبية مع شعرائها وادبائها (٢) .

ومن بغداد نقل الى متصرفية (شهرزور) في ولاية الموصل ، ثم عاد منها الى بغداد حيث تولى شؤون التحرير في جريدة « الزوراء » التي انشأها مدحت باشا، وتولى بعد ذلك منصب متصرف (لواء نجد والجزيرة) وكان آخر منصب له في خدمة الدولة العثمانية هو متصرفية لواء (تعز) في اليمن !

وبالنظر لحسن خدمته منحه السلطان عبد الحميد رتبة (ميرميران) ونال رتبة (الباشوية) بعد ذلك !!

اعتزاله الخدمة ووفاته : وحين اعتزل الخدمة ، آثر العيش في استانبول ، فبقي فيها حتى وافته المنية في شهر رمضان سنة ١٣١٠ هـ ــ ١٨٩٢ م ودفن هناك في مقبرة (مركز افندي) وله من العمر (٦٤) عاما .

آثاره ومؤلفاته : وبالرغم من انصرافه للعمل في خدمة الدولة ، فقد كان له نشاط فكري وادبي كبير ، فانه عندما كان في بغداد قام بترجمة ثلاثة قوانين تركية الى اللغة العربية هي : (١) قانون الاراضي العثماني ، (٢) قانون الجزاء الهمايوني ، (٣) قانون التجارة العثماني .

١ ــ ومن الكتب اللطيفة التي اظهر فيها براعته في فن التصوير الشمسي كتابه الموسوم بـ « حسن التدبير في صناعة التصوير » بحث فيه أصول هذا الفن ، وننقل من مقدمته هذه الجملة « حمدا لمن صور الاشياء فاحسن صورها ، واحكم امرها وقدرها ، جل خيال كنه ذاته ، عن ان ينعكس في مرايا العقول ، وترفع شعاع انوار جوهره من ان تحيط به احداق أبصار اولي البصائر من الفحول ! »

اما بعد : فيقول المفتقر الى ربه الغني ، احمد عزت الفاروقي الموصلي ، انني لما اردت دار الخلافة العظمى ، وقرارة السلطنة الكبرى ، وقفت في بعض الايام على صناعة التصوير المسماة بـ (الفوطوغرافي) فوكرت على قننها بالقوادم والخوافي ، ولما اكملت اعمالها ، احببت ان أشرح ذلك خدمة لاهل وطني من زمنى ! » (٣) ومن الطريف انه لما صنع لنفسه صورة بهذا الفن نظم فيها هذه الابيات :

هذه صورتي وضعة كفي   تتراءى لعين من لا يراني
من شعاع الشمس استمدت فاضحت   تتجلى كصورة الانسان
وهي تبقى بعدي زمانا طويلا   ليس تفنى على مدى الازمان
كل من شامها يظن بأني   بادي الرأي بارز للعيان
انما الناس في الزمان خيال   وخيال الاشياء لا شك فان

٢ ــ ومن كتبه المطبوعة ، كتابه الموسوم بـ « العقود الجوهرية » وهو الكتاب المطبوع في مصر سنة ١٣٠٦ هـ وترجم فيه الشعراء والادباء وما قالوه في مدح الشيخ ابي الهدى الصيادي !

٣ ــ « الرحلة النجدية » وهي الكتاب الذي بحث فيه أحوال اهل البادية والحاضرة من اهل نجد وذكر معارفهم ، وما خصوا به من علوم فطرية كالقيافة وتتبع الاثر والفراسة وما الى ذلك . ومن المؤسف ان هذا الكتاب مفقود .

٤ ــ كتاب « فصل الخطاب في فضائل عمر بن الخطاب » تناول فيه سيرة جده الفاروق رضي الله عنه ولكنه فقد ايضا .

٥ ــ « دوان الطراز الانفس في شعر الاخرس » ومن اعماله المشكورة ، قيامه بجمع شعر شاعر العراق المرحوم عبد الغفار الاخرس ، والنهوض بطبعه في استانبول سنة ١٣٠٤ هـ فحفظ للادب شعر هذا الشاعر العراقي الكبير . وقد كتب له مقدمة نفيسة نجتزيء منها هذا المقطع ليقف القاريء على اسلوب هذا الاديب في الكتابة ، وفنه في الانشاء حيث قال « .. ومدح منها الاكابر الكرام والفضلاء الاعلام ، بشعر يقف (مهيار) عند

٢ ــ راجع مقالنا « شاعر عراقي في حلب » المنشور في مجلة الضاد الحلبية عدد حزيران ١٩٧٣ ففيه تفصيل هذه العلاقة .

٣ ــ من المؤسف ان هذا الكتاب كان قد احترق في استانبول مع ما احترق من كتبه ، ولكننا وقفنا على هذه المقدمة في الجزء الثاني من تاريخ الموصل لمؤلفه القس يوسف الصائغ .

ابوابه ، ويعجز (ابو تمام) عن الوصول الى فسيح رحابه، ويتمنى (الرضي) لو ارتشف الحميا من اكوابه ، (وابن الازري) لو اتزر في رقيق ثيابه ، مـن آدابـه ، حيث ان منواله العريض الطويل لم يتيسر لاحد ، بأن يأتي له بنظير او مثل . وقد مازج برقته الارواح ، وفاق در سطوره ، روضة تتفتح في جوانبها الورود والاقاح ، وحاكي النسيم العاطر ، فابتهجت بـه القلـوب والضمائر ... وصادف توجهي ، الى بلاد الروم ، وتوالت علينـا الغموم وعوارض الهموم ، كالظل من يحموم فعاقتني العوائق عـن جمعه وترتيبه ، وتلخيصه وتهذيبه ، الى ان رجعت الى بغداد ثانيا سنة ١٢٩٨ هـ ، قاطعا اليهـا الاغوار والانجاد . فوجدت تلك الديار خالية بروجها ، عـن تلك الاقمار ، والدهر قد فرق تلك الجموع واجـج في الضلـوع نيران الولوع .

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكـة سامـر

فهاجني الشوق القديم ، والحب المتعـدد المقيم ، بان اجمع ديوان الاديب المشار اليـه ، لا زالت سحائب الرحمة تتوارد عليه ... »

٦ ـ « ديوان الفاروقي » وهو الديوان الذي كـان يعتقد انه قد التهمته النيران في استانبول ، الا انه ظهرت كما قلنا ، نسخة عند الاستاذ بهاء كمال الدين ، ونسخة في « الخزانة التيمورية » كما جاء في الاعلام للزركلي .

نماذج مـن شعره

ولما كان ديوان الشاعر كبير الحجم ، تناول فـي قصائده مختلف الاغراض الشعرية ، فسنكتفي بتقديـم بعض القصائد والمقطعات الشعرية التـي تبين للقارئ شاعرية هذا الشاعر العراقي .

١ ـ مع فارس الشدياق : لما زار الشاعر استانبول سنة ١٢٧٩ هـ ـ ١٨٦٢ م تعرف خـلال وجوده فيها بالاديب الكبير والشاعر (احمد فارس الشدياق) صاحب جريدة الجوائب ، وكان هذا التعرف اثنـاء مـا كانت المعركة اللغوية دائرة بين الشدياق و (سليمان الحرائري) محرر جريدة « برجيس باريس » التي تصدر بالعربية في باريس آنذاك ، ولما راى الحق مع الشدياق انتصر لـه ، ونظم مجموعة من الاراجيز والقصائد في ذاك ، وبسبب هذا الانتصار ، قامت بينهمـا مـودة وصداقة متينـة ، ولذلك لما عاد الفاروقي الى (قونية) بعث اليه الشدياق بقصيدة يعاتبه فيها على عدم المراسلة ، جاء فيها :

اوحشتني يـا سيدي وهـوى النبـي محمـد
واشد من ذا البـين انك صـرت تنسـى موعـدي
واليوم بعدك قد مضى شهـر كدهـر سرمـدي
يا احمد الافعال يـا رب القوافـي الشـرد
اني اتخذتك ساعـدا لـي يـوم ينكص منجدي
عودتني الاحسان منـك فـلا تـدع متعـودي
ان كنت لا تجدي أخاك فمـن عسـاه يجتدي

وحين تسلم الفاروقي هـذه القصيـدة ، سارع بالاجابة بقصيدة طويلة جاء فيها قوله :

هذي ..... المسجد ملئـت .... صرخـد
أم غـادة لو صالها لطفـا، اشارت باليـد
أم سجع ورقاء الحمى يروى طريقـة معبـد
لا بـل كتاب جاءني في خـير وقت مسعـد
ففككت مسك ختامـه فكانـه الـورد النـدي
ونشقت طيب عبـيره لـا تعبق فـي يـدي
يا سيدي انت الذي اوحشتنـي يـا سيدي

والقصيدة طويلة ...

٢ ـ ما بين قلبي : وحين كان علامة العراق المرحوم ابو الثناء الالوسي في استانبول ، بعث اليه بهذه القصيدة التي مطلعها :

ما بين قلبي وبرق المنحنى سبب هذا وذيـاك خفـاق ومضطـرب

وقال فيها :

للـه قلبـي لـه في كـل آونـة تقلب في هـوى حزوى ومنقلب
يصبو اليها وقد جر النسيم بهـا ذيلا وشقت عليهـا جيبها السحب
كأن هطالهـا فـي كـل مرتبـع مد من البحر يعلـو ثـم ينسكب
من لي بعين تزال الدهـر هاميـة بمدمعيها وقلـب حشـوه لهب
دارت لآليء دمعي فـوق مقلتهـا فالعين كاس ودمعـي فوقها حبب
سقيا ورعيا لايـام الشباب وان لم يبق لي بعـد ذا فيهن مطلب
يا ليت عصر شبابي قد قضى وطرا قضيت من حقه بعض الذي يجب
فالعيش في ظل ايام الصبا فـاذا مضى الشباب فلا لهـو ولا لعب

٣ ـ تذكر العهد

تذكـر العهـد فانهلـت بوادره وكاتـم الحـب لا تخفـى سرائره
وكم بباب اللوى قد بات مطرحـا مـن بعدمـا نفرت عنـه جاذره
فـراح والوجد يطويـه وينشره والله يعلـم مـا تخفي ضمائـره
أشجاه تغريد ورقاء على فنـن غنت وجاوبهـا بالايـك طائـره
من حب ظبي حكت في الليل قامته غصنا ، وطودا لقـد لفت مآزره
دعج لواحظـه ، خضر عوارضه بيض ترائبـه ، سود غدائـره
أعاره جسدي سقمـا لناظـره كمـا أعار لجسمي السقم ، ناظره

٤ ـ هدية ساعة : وقال على لسان ولده (مختار) حين تم فطامه عن الرضاعة ، واهدى لاخيـه (فؤاد) ساعة في الوقت نفسه :

قد حبا والدي (الفواد) بساعة قرطت فـي رنانهـا اسماعـه
لست أسطيع شكره ولو انـي قمت فيه حتى تقـوم الساعـه
فكانـي اذا كبـرت حبانـي ما حبا الاخ مـن نفيس البضاعه
غير انـي قـد اغتـدى لفؤادي خفقان مـذ احرموه ارتضاعـه
ففـؤادي كساعـة و (فـؤاد) حاز مـن ساعة الزمان براعـه

٥ ـ موشح جديد : قـال الفاروقي : « وقلـت معارضا شعرا نفح الطيب والذخيرة مـن رجـال الاندلس والجزيرة ، فيما اخترعوه من الموشحات ، مما يفوق شعر النجف والحيرة . وقد زدت على ذلـك الاصل قافيتـه الاخيرة ! » اما هذا الموشح فنثبت منـه هـذه الادوار ، قـال :

تفجر الفجر بنهـر النهار (لمـا استنار)
والورق في الغصن تجيب الهزار (بالنواح)
فامتـلا الـدوح بتغريدهـا
والغصن قـد مـال لترديدها
ما أحسن الطوق عـلى جيدها

ذكريني

ذكريني الصبا وبيض الأماني … وزمانا حلا بطعم الزمان
ذكريني مصر المضيئة فجرا … وشبابا والورد أحمر قان
يذبل الورد ؟ يا له من ظلام … يسقط الورد ؟ يا له من هوان
ذكريني فلكا على النيل يجري … أيها النيل ! قف عن الجريان
أيها القاهر الحنون ! أعدها … موجة موجة الى الآذن
هل جهلنا الخلود حين اغترفنا … منك صوت الخلود بالأوزان
تتهاوى الامواج فيك كبارا … أم صغارا في عالم النسيان
وحدتها الأشجان فهي سواء … ليس أبقى من وحدة الاشجان
قطرات تحيا الدهور رقاقا … وتصوغ الدهور في الأغصان
زهرة القطن ــ أم لواء سلام … ذاع منه السنا وفيض الحنان
زهرة المهد ، زهرة الوجد ــ ماذا … يبتغي الحب غيرها من معان
ان نظمت الزهور شعرا فاني … أستعيد الاحسان بالاحسان
موجة النيل أم وسادة قطن … أنبتتها الدهور في الأحضان
ألبستنا التاريخ فهي رداء … وانتماء تحيا به الصفتان
قل لها ــ وهي أمة وشعاع ــ … أيقظيني في حلمك الفتان
نسي العمر انه الطيف يسري … فسلام عليك طيف الأماني
يا ترابا ــ مشى الشباب عليه … كل أرض تفديك ــ كل مكان
فجرتنا تلك الينابيع نهرا … ان نهر الشباب كالبركان
ذكريني الاطلال اطلال حب … غيبته الأمواج في العنفوان
واذكريني طفلا كبيرا ولحنا … هدهدته الزهور في الألحان

طرابلس ــ لبنان … سليم الرافعي

ما الطف الزهر ولون النوار (غب القطار)
وبسم الازهار ذات افترار (كالاقاح)
وليلة سامرني جؤذر
عذب قلبي خده الاحمر
ذو شامة ناظره احور
وشادت في العين منه احورار (حين زار)
بليلة عينها للمزار (يوم راح)
نقطت من عيني بخديه خال
فبات عندي بالسويدا وجال
وعينه الكحلاء ذات الجمال
تجر قلب الصب للانكسار (جر الجرار)
ياوح فيها اثر من خمار (بافتضاح)
قد مال منه الخصر تحت الوشاح
ميلة غصن حركته الرياح
أعينه تخجل بيض الصفاح
وخده الوضاح فيه احمرار (كالجلنار)
كأنه البدر اذا ما استنار (حين لاح)

٦ ــ من لصب : ومن موشحاته البديعة ، هذا الموشح الذي يقول فيه :

من لصب كلما هبت صبا … هب من رقدته في فزع
واذا عن له برق أضا
ومضه يحكي الحسام المنتضى
أسعر الاحشاء في نار الغضى
واذا ما زنده الواري خبا … اججته زفرة في أضلعي
. . . .
كي تطفي ما بقلبي من حريق
جمرات الشوق في وادي العقيق
فارمها لو كنت في وادي قبا … .... بوادي الاجرع
وبروحي جيرة بالموصل
نزلوا منها بأعلى منزل
علليني بهواهم عللي
أيها الورق وغني طربا … وباسجاعي لديهم فاسجعي

وبعد : فهذا هو الشاعر العراقي المرحوم احمد عزت باشا الفاروقي ، لخصنا للقاريء حياته ، واعطيناه نماذج مختصرة من شعره ، نرجو ان نكون قد وفقنا في تقديم مادة جديدة عليه ، حرية بالدراسة والتحقيق .

بغداد … عبد الرزاق الهلالي

حبيب زيات بين الذكرى والنسيان

١٨٧١م – ١٩٥٤ م

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

* * *

العالم الدمشقي الاستاذ الباحث « حبيب نقولا زيات » من ابناء سورية القطر العربي ، الذي أنجب رجالا للعلم ، والسياسة ، والادب ، والشعر ، واللغة . تفخر بهم الامة العربية ، وترفع هامها لغة الضاد عند ذكرهم ، في سائر اقطار الدنيا .

كان هذا الرجل الفاضل ، والباحث المدقق ، في اول حياته تاجرا غنيا متنقلا . ولكن شهرة المال ، وبريق الذهب ، لم يجعلاه لاهيا ومنصرفا عن سحر الكلمة ، وعذوبة اللفظة ، ونشوة البحث ، وتواضع المعرفة . فاصبح بعد ذلك كما وصفه البحاثة الجليل الاخ يوسف اسعد داغر « طويل الباع ، واسع الاطلاع . امتاز بالامانة في النقل ، والصدق في القول ، والسداد في الرأي، والحصافة في النظر » .

عاش في سورية ومصر وفرنسة ، ومات في نيس.

وجعل همته وهمه البحث والدراسة والتنقيب عن المخطوطات التاريخية ، وزار مدن العلم في اوروبا ووصل الاندلس وظل ملازما زمنا في الاسكوريال . واقتنى ما وجده غاليا نفيسا من نوادر الكتب والمخطوطات وجعلها خزانة في داره .

وكان يكتب المقالات والدراسات ، في مجلات علمية، شرقية ، وغربية . امثال : لغة العرب ، والمشرق ، والمقتطف ، والمسرة ، والرسالة ، والاندلس . وترك اثارا قيمة مطبوعة من اهمها :

- خزائن الكتب في دمشق .
- الخزانة الشرقية .
- المراة في الجاهلية .
- الديارات النصرانية في الاسلام .

ولم يخل عدد من اعداد « المشرق » في ايام فتوتها وانتشارها ، الا وتجد للاستاذ المرحوم حبيب زيات دراسة طريفة ممتعة ، او نقدا بارعا ، او كشفا ادبيا جديدا . ومن هذه الابحاث الفريدة ، التي طالعناها المتعلقة بالاندلس وغيرها :

- امهات أشراف المسلمين النصرانيات .
- دراسة كتاب « المقفى » للمقريزي .
- ارجوزة « غميس » لابن سيده الاندلسي .
- تاريخ قضاة الاندلس للنباهي .
- الوراقة والوراقون في الاسلام .
- الاسماء والكنى والالقاب النصرانية في الاسلام .
- لغة الحضارة .
- اداب المائدة في الاسلام .
- كتاب ادب الوزراء لاحمد بن شاذان .
- ثياب الوشي ، وثياب الشرب .
- السفن والمراكب في بغداد في عهد العباسين .

ان الغرض الذي قصدته من هذه اللمحة الخاطفة هو التذكير لاحياء ذكرى هذا الرجل المنسي ، وقد راودتني الاسئلة الآتية الموجهة للباحثين والمسؤولين وهي:

١ – لماذا نتناسى الواجبات تجاه ذكرى العلماء الباحثين من ابناء وطننا العربي ، ونهتم غالبا بالقشور دون اللباب ؟

٢ – لماذا لم نذكرهم الا بالمناسبة العابرة ، ولم نحفل بجمع تراثهم المخطوط والمطبوع ؟

٣ – لماذا لا تهتم جامعة الدول العربية في اقسامها الثقافية ، باعادة طبع مؤلفاتهم النفيسة ، التي اصبحت نادرة ونافدة . بعيدا عن جشع تجار الكتب ، وطمع موزعيها ؟

٤ – لماذا لم يكرم المجمع العلمي العربي بدمشق ، رجلا من رجال العلم في سورية ، والمجمع يعرف ولا شك منزلته وقدره ، وما قدمه من حصيلة نافعة من ثمرات المعرفة ؟

٥ – لماذا لا ينصرف المشرفون على الدراسات الجامعية الحديثة ، في توجيه طلابهم لاحياء امثال هذه الشخصية العلمية ، قبل ان تنسى ، ويطوي آثارها الزمن ، وتغلف اسماءها ستائر النسيان والاهمال والاندثار ؟

والغريب الذي وجدته ، هو قلة ما كتب عن حبيب زيات ، والوحيد الذي أنصفه ، وترجم حياته هو الاستاذ الجليل البحاثة يوسف اسعد داغر في كتابه « المصادر الادبية » ويأتي بعده الاستاذ المؤرخ عمر رضا كحالة في « معجم المؤلفين » اما الشاعر الكبير الاستاذ خير الدين الزركلي فلم اجد في قاموس « اعلامه » النفيس اثرا او اشارة مختصرة عنه . ولا ادري كيف غفل عن ذلك ؟

تلك هي اغلب طبائعنا في العالم العربي – مع الاسف – اقولها والحسرة تشد بقسوة على نفسي . في اننا نهمل احيانا من هم الاجدر بالعناية ، ونهتم بمن هم الاولى بالاهمال !!

وعسى ان يكون الواقع الحاضر ، والجيل الطالع ، ما يذهب عنا هذه الصفة ، ويذيل عن مجتمعنا تلك الخلة . فنرجع الحق ، والاحترام ، والتكريم لمن سلبتهم الظروف ، والاحوال ، والملابسات ما اخذته منهم الايام ، وبعثرته لهم من تراث . ومن بين هؤلاء هو الاستاذ حبيب زيات . ورفاقه من حملة القلم المثمر ، والثقافة العربية الاصيلة .

وعساني اعود لاجدد الذكرى وانبه الاذهان . الى اديب منسي ، او شاعر مغمور ، او استاذ كريم ، او فنان بائس ، او عالم كبير ، او صحافي رائد .

بغداد – كلية الاداب	محسن جمال الدين

كلمات ضائعة

الى زوجة غائبة ..

رحلت ؟..
وكنت اذا غبت عني أضيع
اذا رحت في غيبة من ثوان
اعد الهنيهات حتى احس
بانـي رضيع ..
أجوع لعينيك .. للخصلات
تنام علـى ساعدي
لرفرفة الهدب ..
للعطر من شفتيك يضوع
واطبق جفني .. اخبىء بينهما
صورة الواعـد
وأحلم انـي اعيش ..
برحلة حب .. على شرفات الربيع
اضم شذاه وعبق المروج
واجمع فلا .. واقطف طوقا من الياسمين
اطوق جيدا احب الي من الياسمين
ومن كل ما ضم هذا الربيع
من الزهر والآس والاقحوان
اذا عدت .. عاد الشذى والندى والحنان
ليغمر بيتي ..
وينصب شلال حب دفين
رحلـت ؟..
هذا البيت موحش حزين ..
وغرفتي .. مهجورة ينام العنكبوت
وينسج الخيوط .. من سأم
يشدني .. يخنقني .. بخيطه الواهي العدم
فارتمي على فراشي كومة من الرماد
وكومـة اخرى ...
على الصحون ... من سجائري تنام
احس ان خطوة الدقائق الهزيله
تدب في مهامه السكون ...
موغلة .. كانها قرون ..
اطل من نافذتي للشارع الحزين
أحس آلاف السنين ...
تفصلني عنك وعن شذاك.. عن مشارف العيون
أحس هذا البحر يا حبيبتي البعيده
يغمرني بالشوق للدقائق السعيده
لنظرة عاتبة حنون

أحس يا جميلة العيون ..
وحدي هنا من آلاف آلاف السنين
اذا رحت للبحر اغسل عني بقايا السأم ..
وانفض عني غبار الالم ..
اذا رحت في لجة البحر فوق شراع ..
وابحرت في اللانهاية كالسندباد
وحيدا .. بلا لفتة من عيون
بلا همسة.. تسكب الآس.. تزرع قلب السكون
وتغمر بالدفء هذا الصقيع ..
أحس اختناقي ...
احس بشيء يجر خطاي بلا لهفة للرجوع
وبيتي يسربله الصمت ... تحنو عليه الظلال
يحن الى الثرثرات ولغو المساء
الى سحبة من حذاء ..
يوقع لحن التعانق فوق البلاط ..
يضيق .. فاهرب منه احس اختناقي
اهيـم وراء السراب ..
واحلم بالدفء .. في ظل عينين حالمتين
ترف بهدبهما أغنيات الربيع ..
فينهار كل الصقيع ..
يضمني المساء ... والف لهفة تحز في الضلوع
كانني أهيم في شوارع بلا حدود
اسير في متاهة بلا هدف ..
احس بالقرف ..
وأنطوي على سرير الندب والاحزان
وغرفتي .. تضيق بالاشباح والغيلان
وبابها يئن بالصرير ...
على مواء قطة جائعة .. عيونها شرر ..
يحـرق أضلـع الظلام ..
تموت شمعتي .. تذوب ..
وساعتي .. مشنوقة على الجدار ..
تجرر الخطوات في بلادة الى النهار
يدق كالمطارق الثقيله ..
رأسي .. فاهوي في قرارة الرقاد
كانني .. بلا وساد ..

حلـب
محمود محمد كلزي

يوم كسيح آخر يقتحم باب غرفتي .. خطوات وجلى تدب في الممر عليها تريد ان تطرق بابي .. تمر .. تمر .. تتجاوزني الى رقم آخر في الممر الطويل ..

مجموعة من المدرسات ينتظمن في شعور مستعارة .. يذهبن الى فيلم في دور السينما .. عيون مطفأة حزينة تخفي خلفها الف حكاية وحكاية .. ابتسامة مريرة تلوح على الشفاه تقنع بؤسا كامنا في القلوب.

واحدة منهن تسير بذهول مستمر .. نحيلة ضئيلة .. عيناها جاحظتان متهدلتان اخفق الكحل الصارخ في اخفاء تجاعيدها .. شعرها اشيب رمادي اغتال الزمان اكثره .. بشراسة وعناد غريبين تأبى ان تصبغه .. شفتاها مطبقة بحزم لا تطرح السلام .. واذا تكلمت شتمت :

« الكلب طلقني بعد اسبوعين .. الله يعلم كم احببته يا اولاد .. النذل تزوجني على طمع .. سرق تحويشة العمر وهرب .. » !

واحدة اخرى تتظاهر بالتقوى لتثبت للملأ انها انسانة طيبة درويشة نظيفة .. لا تصمت عن الغيبة الا حين تعانق سجادتها .. ترمي كل مدرسة بنظرات شزراء محمومة تتفجر حقدا وغيظا .. لا تمدح الا خصالها وطيب افعالها.. وتسلق ظهر من يجاورها او يؤانسها ...

ثلاثة منهن .. ثلاثي غير مرح .. وقف على عتبة الاربعين بأسى بالغ وحزن عميق .. يجلسن معا .. يقمن معا .. كالغزالات الثلاثة في قصص الاطفال ينسجن « التكايا » والحكايا .. يتناولن طعامهن على طاولة واحدة حديثهن همس اجش دائب لا يروق سميرة .. مع طعامهن يزدردن لقمات هائلة من النميمة يصببنها على من حولهن من المدرسات ...

واحدة اخرى بيضاء جميلة ممتلئة .. جريئة الى درجة مريبة .. معتدة بنفسها الى درجة مذهلة .. حين تمشي تدق الارض بتحد وخيلاء .. اكثر ما يميزها صوت هادر فاجر يرعد في المطبخ والممرات يتحاشاه الجميع .. فيه بحة مطربة مغناجة تستعرضها عند كل حديث .. تركت زوجها واولادها للكسب الحلال ونذرت نفسها للتقشف ، فتقشفت وتقشفت حتى باتت « حريفة » تقشف.. تصاحب كل غرة ساذجة تجد عندها مكسبا طيبا حتى اذا ما وجدت من ادسم منها تركت الاولى والتصقت بالثانية بذكاء وقح شرير يعرف من اين تؤكل



بقلم سهام عبد الهادي

الكتف .. وهكذا كانت تنتقل في السكن من صيد الى صيد حتى باتت تحمل لقب « الصياد » ..!

سميرة مدرسة جديدة بينهن تخرجت حديثا من الجامعة ووجدت نفسها تعيش وسط مجموعة متنافرة غريبة من البشر ما تعودت ان ترى مثلها في رحاب الجامعة او حرم الثانوية .. التزمت بغرفتها واصابها رعب هائل من نظرات زائغة قلقة من قبل مدرسات عتيقات



فآثرت العزلة واقتصرت على صحبة الكتاب وسماع رفيقة العمر « فيروز » تشدو بصوتها الملائكي العذب فتؤنس وحدتها وتذيب الصقيع الزاحف على حياتها ..

لم تطل وحدة سميرة حتى التقت بمجموعة نضرة عطرة من المدرسات الشابات ، ما زال نبض الحياة يتدفق حارا في عروقهن .. ما زال فتى الاحلام رشيقا انيقا يداعب مخيلتهن فيشيع في عيونهن شعورا من الرضى والبهجة والسعادة .. نفوسهن صافية رائقة تنضح بالخير والعطاء والمحبة .. يغنين ابدا .. يمرحن يرقصن .. يضربن اجمل المواويل واعذب الالحان الشرقية والغربية في المطبخ « الصالون » الواسع العريض ملتقى تجمع النحلات العاملات بين القدور التي تغلي وتفور .. ولا بأس من « فتلة » جيرك في « بيست » المطبخ بين الطاولات العتيدات .. او رقصة بلدي تؤديها نحلة فرحة مرحة على طاولة ضخمة عتيقة وهات يا رقص على « واحدة ونص » بين الهرج والمرج والتصفيق والزغردة والولولة ريثما تنضج الفرخة الشهية الطرية المتربعة باباء فوق عرش « بوتوغاز » شاب نشيط تنفث شرايينه لهيبا متأججا لا تنطفىء حدته الا حين توشوشه حبيبة من صديقاته فتسكن جمراته ويهدا اواره ..

انخرطت سميرة مع مجموعتها انخراطا تاما لا تفارقها الا حين تشتاق لاصحابها القدامى فيروز والكتاب .. اما شلتها فيكفيها التدريس وتصليح الكراريس وفلقة الراس في الصباح مع الطالبات ويا ليل ويا عين وغدا القاك وانت عمري في المساء ..

كانت سميرة فتاة سمراء جميلة .. سمرتها مشوبة بحمرة حلوة محببة .. طويلة انيقة ممشوقة القوام تملك نفسية مرحة منبسطة على جانب عظيم من الذكاء والجاذبية

.. عيونها سوداء واسعة من ذلك النوع اللامع الذي يستقطب كل حركة ويحس كل نأمة فيبتلعها ويختزنها في جوفه يخشى ان يبوح بها لانسان ..

احبتها تلميذاتها ووثقن بها .. الواحدة تلو الاخرى .. جاءتها تلميذتها يوما « ارجوك يا ابله ساعديني .. ابي يريد ان يزوجني من احمد ابن اخيه .. هذا الثقيل الاصلع .. عمره ثلاثون عاما .. لا اطيقه .. احب ابن الجيران « وسيم » في الصف الثالث الثانوي مثلي يا ابله .. شعره املس جميل خنفوس ـ ليتك ترينه ـ اعلم لماذا يريد ابي ان يزوجني ، لانه من ذلك النوع الذي يعتقد ان البنت اذا تجاوزت العشرين بارت واصبحت في عداد العوانس يا لطيف .. زوج اختي في الثالثة عشرة من عمرها .. وانا يعيرني بانني بلغت السادسة عشرة ولم اتزوج بعد .. هل انا عانس يا ابله ؟.. اذا اصبحت عانسا سابحث بنفسي عن عريس».

ومادت الارض تحت قدمي ابلتها .. كلام الصبية الجرىء اثار مواجعا كامنة في قلب سميرة ..

كنت اجمل من تلميذتي واذكى .. كنت محبوبة من قبل الاهل والجيران .. يتعلق بي الصغار والكبار على حد سواء .. عندما كنت اسير في الشارع كانت تلتفت نحوي الرؤوس .. والتعليقات المحمومة تفرقع حولي في الهواء تطلقها افواه الشبان الجائعة الملهوفة لنظرة .. لابتسامة ..

« يا اسمر ... يا سكر ... يسلم لي هذا الطول .. دخيل الله على الشعر والخصر و ... الخ .. »

لم تهزني هذه التعليقات يوما .. لم التفت اليها .. بقي الكتاب صديقي الحبيب المصطفى بين البشر والمكتبة مهواى .. الى ان التقيت بك يا عصام واحببتك .. لعلك كنت بالنسبة لي الوجه الآخر للكتاب .. كنت عميقا ناضجا مرحا باتزان .. مثقفا يحلو لي ان اغوص في بحر ثقافتك واتهادى بحنان على موج اشعارك العذبة ترسلها عقودا من ماس احلى ما زين صدري وعانق جيدي ..

كانت عيناك حولي تحرسني تؤنسني من بعيد .. بدات تتقرب مني شيئا فشيئا .. تتلهف لمساعدتي اذا ما طلبت مصدرا من امين المكتبة فتسارع بالبحث عنه .. واذا ما اردت الكشف عن كلمة ما في المعجم كنت السباق لمساعدتي ونجدتي ..



سهام عبد الهادي

●

كانت المكتبة مسرح هوانا العف.. موطن الفكر والفن ، الهواء النظيف الذي يعبق بامجاد الماضي وعباقرة التاريخ ..

كنا لا نكاد نفترق حتى تتصل بي بالهاتف .. يأتيني صوتك عبر الاثير قويا عميقا حنونا تحمله الي آلة سوداء باتت حبيبة الى نفسي قابعة في ركن البيت هادئة ساكنة تزغرد حين تناديني .. كان لسانك ينطلق على الهاتف فتقول ما يمنعك الحياء من قوله حين تراني .. كلماتك يا عصام محفورة في راسي :

« يا سميرة يا عمري ... انت حلوة لذيذة كقطعة السكر .. احب قدمك الصغير الانيق .. تاج على راسي.. وحدك سيدتي حبيبتي بين نساء العالم » ..

وخطبها من ذويها .. وطار قلب سميرة فرحا وهي ستقترن بفتى احلامها ورفيق صباها .. ولكن سميرة فوجئت برفض قاطع من اهلها لعصام .. هكذا بحزم وقسوة .. فعصام لا ينحدر من سلالة الدم الازرق على حد تعبير ذويها .. كان عصام ابن اسرة ريفية فقيرة بسيطة عمل ابوه على تعليمه وتثقيفه .. بعد ذلك شق عصام دربه بيديه كعصامي كادح من اهل الوطن يجمع بين الدراسة والعمل ليؤمن قسط الجامعة وثمن الكتب .

سميرة تنحدر من اسرة عريقة غنية ذات جاه طويل عريض .. باتت اليوم مفككة تعلك امجادا مهترئة قديمة تحصيها بتلذذ مع حجارة الشطرنج .. وتتطاول بها على مخلوقات الله ...

لم تدر سميرة لماذا تقف في صف حبيبها .. لم تدافع عن حبها وقلبها .. استكانت بخنوع ، رضخت بمذلة للفرمانات التركية الغبية الصادرة في البيت .. شخصيتها القوية بين الناس كانت اشبه بقشرة جوفاء رقيقة تخفي طيها شخصية اخرى ضعيفة مترددية متهاوية لا ترفع صوتا ولا تلقى اعتراضا ...

تركت سميرة حبيبها وحده في الميدان فانهزم وارتحل الى اوروبا في بعثة تعليمية هناك ..

سكنت صاحبتنا في غرفتها .. لم تستفق الا على صوت واحدة من شلتها العطرة المرحة تغني :

« وحداني حعيش كده وحداني ... خدني معاك يللي انت مسافر خدني معاك ... » ثم تصمت لتتابع بعد قليل كلامها في زعيق فرح مزقزق : « خلاص يختي ما بقاش وحداني ».

سعاد زميلتها الحلـوة مدرسة العلوم وصل اليـوم جـواب مـن خطيبها في المانيا يزف اليهـا بشرى النجاح وانه تخرج هذا العام مـن كلية الطب وبقي له عام آخر للتدريب وسيعمل هناك لبضعة اعوام اخـر وهو يطلب من سعاد ان تستقيل من عملها لتلحق به حالا ليقضيا اشهـر العسل وسنين الحلاوة .

« دكتور قد الدنيا » قالت سميرة في سرها .. يحق لسعاد ان تفرح .. لكنك يا عصام اعظم من اي دكتـور او مهندس او محام .. ليتك تعلـم الآن كم رفضت من الخطاب مـن اجلك ... ثارت لضعفي لتهاوني .. آمنت بالحرية الشخصية والعدالـة والمساواة مبادئك يا عصام .. لـن اتزوج رجلا لا احبه ثـم ابيعـه جسدي بين جموع الناس المكبـرة المهللة للستر الحلال ..

انت اعظم من رايت يا عصام .. لم التق بمثل شخصيتك .. نضوجك .. عمقك .. حنانك .. ايـن انت يـا عصام ؟.. اوتتركنـي وحـدي ابحث عنك كما قالت تلك الشقية الصغيرة .. من يدري لعلك الآن في اوروبا تتقلب بـين احضان فاتنـة شقراء مـن فاتنات الشمال ... سمرتي الداكنة ما عادت تستهويك مـا عادت تلهب قريحتك تستثـير وجدانك ..

شيئا فشيئا بـدات الابتسامـة الحلوة تغيض من وجه سميرة تفارق محياها .. الجليـد القاسي بـدا يزحف علـى حياتها .. الصقيـع البارد يبطن اجواء غرفتها .. هدوء قاس مرير يكتنف نهارها يلف ليلها .. شلتها الحلـوة بـدات تخطب تطير .. ابن الحلال يخطفها علـى جواد ابيض جميل .. حتى اصحابها الخلص رفقاء العمر : ابـو تمـام البحتري فيروز : كلهم مـا عـادوا ينتشلونها من وحدتها .. وتعليقات جارحة مـن زوجة عمها المرحـوم تطحن عروقها ..

كانت هذه العجوز امراة غريبـة عجيبة .. كتلة من شر محض دون بارقة من خير .. لسانهـا سليط كالمبرد تكوي به من يقربها او يتجرا على مسامرتها سيما اذا لمحت فـي محدثها بوادر ذكاء او شخصية قوية او نسبا عريقا يتحدى عراقة اصلها وكريم محتدها .. عندئذ تستشيط غضبا وتتمزق حقـدا فتأكل بعضها بعضا وتلسع لسعات طائشة سريعة متلاحقة تحاول بها ان تدمر محدثها او تنسفه علها بعـد ذلـك تهدا او تستريح ..

كانت امراة عمها عربـون صدق على فساد الدم الازرق المتعفن فـي الاسرة العريقة النبيلـة .. قوام شخصيتها هـوى جارف لحكايا الجنس .. تجن بحكايا الجنس .. مهووسة جنـس .. والالفـاظ السوقية البذيئة تنثال ابدا علـى لسانها بتلذذ وسخاء وكرم تعتبـره مصدرا من مصادر اعتزازها ..

كانت تلك العجوز لا ترى سميرة الا وتسلقها بالسنة حداد ، وتنغزها نغزات تحاول ان تكون طبيعية غير متكلفة ، كان تقول مبتسمة ابتسامة مرعدة :

« يا عيني يا سميرة ... اسمعت يا بنتي ؟.. مش بنت المهندس علي صاحب العمارات الكبيـرة في شارع خالد بن الوليد بقـي ابوها يعلمها ويعلمها ويرفض خطابها حتـى بارت يا كبدي وراحت عليها ؟... واقول لك ايضا مش بنتي الصغيرة الصغيرة سافر زوجها الـى باريس وغـاب اسبوعين كادت تجن بغيبته وجنتنا معها ..

اصل المراة المتزوجة لا تستطيـع ان تبقى يوما واحدا بدون زوج .. وما قيمة المراة عموما بـلا رجـل يؤنس وحدتها ويملأ حياتها ؟.. »

وترفع العجوز حاجبيها وتنظـر بطرف عينهـا الصغيـرة السوداء المستديرة الحادة كعين الديك مـن خلف منظار طبي سميك لترى وقـع كلامها علـى سميرة بينما اصابعها تضغط بشدة تقرقع حبات سبحتها ولسانها يتمتم بعصبيـة مكبوتة : يا لطيف يا لطيف يا لطيف ..

وبين الحين والحين كانت تختلق نكتة بذيئة من محفوظاتها الجنسية القديمة - راس مالهـا في الحديث تصمت لو تاهت عنه - تطلق نكاتها معربدة في الفضاء ثم تضحك وحدها ضحكات منغمة رعناء يهتز لها اللحم المكتنز وتحمل في طياتها انفعالات ابن العشرين بكل ما يملك من نزق وطيش شباب وطاقات غريزيـة حـادة لا يستطيع كبتها ..

وتصمت سميرة لـدى هـذه التعليقات صمتا مطبقا .. ويعتورها ضجيج في راسها بينما ينبثق امـام ناظريها خاطر عنيـد غريب كانت تحاول جاهدة ان تطرده عن ذهنها .. وكلما الحت في صرفه الح في المثـول قويا جريئا متحديا .. خطر ببالها يوما ان زوجة عمها المرحوم تشتهي الرجل .. تتمنى عريسا لنفسها في سن ابنها او ابن ابنها لا يهم .. والا لما شغفت بحكايا الجنس ، والا لما شذت عن لداتها العجائـز الطيبات اللواتي لا يريـن الصبايا او الشابات حتى يغمرنهن بفيض مـن الحنان الممتع اللذيذ ، من نظرات هادئـة وادعة حانية تحمل حكمـة الدهر وخلاصة التجارب في الحياة .. من كلام حلو جميل يتدفق كالعسل .. من دعوات صالحات طيبات تسعـد القلب وتنزل على النفس بردا وسلاما ويقول المرء لدى سماعها « هل مـن مزيد ؟ » ..

في يوم من الايام رن جرس الهاتف في المدرسة :

« واحد يطلب سميرة .. يا عيني يا بنات انشاء الله خير .. » وتغامزت المدرسات ..

كان عصام علـى الهاتف يطلب سميرة .. يأتيها مـن خلف ضباب الايام وقهر السنين ..

« سميرة عدت تـوا من اوربا ..

ما تبقى

كل ما ابقيت لي كان ذرائع ... كلمات ومقاطع
قلما .. بعض مراجع
ندما عض اصابع
وسطورا من حياة لونها كالوجه فاقع

كل شيء منك باق ، مثلما كان هنا يحيا ، يداجي ويصانع
نظرة العينين ظلت فوق مزلاج الشبابيك ، على مقبض بابي
فوق مرآتي تطالع .
وصدى صوتك باق ، في الستارات التي تهتز ، تبلى ، في أصيص الورد
مضفوطا على صمت المضاجع .
في المسارات التي سرنـا
في المساحات التي عشنا
في المتاهات التـي كنـا
كلها تربض حولي ، تركت لي الف طابع
تركت بصمتها في الصمت ، في ليلي ، على كل المواقع .

يا لها دنيا تخادع
تسرق العمر وتعطي ثمنا بخسا .. مطامع
ثم تمضي ، ما تبقى منك جلد واضالع
هيكل يمرح فيه عالم فض وواقع
وفراغ ليس فيه ، غير رقاص ، ودقات ثوانيه .. وعمر ليس راجع
وضياع .. كل ما عشناه ضائع

بغـداد **صفاء الحيدري**

يجب ان اراك على باب سكنك في الساعة السابعة .. وهل تنسين السابعة يا سميرة ؟.. انها في دمي وتحت مسالمات جلدي » .

تساقطت السماعة من يد سميرة .. وتهاوت على اول مقعد وجدته امامها .. وقد عقدت المفاجأة لسانها .. وخفق القلب المحروم بشدة .. وتسارعت نبضاته الحزينة الكسلى تعوض مافاتها من طول ركود وفتور ..

ذهبت سميرة الى غرفتها .. تتزين .. تتعطر .. العطر الفاعم الذي يحبه عصام ، تسرح الشعر الناعم الجميل الذي طالما احتواه بيديه الراعشتين .. تتحسس الشفتين اليابستين .. تكتحل .. تشد الحزام على الخصر الاهيف والقوام المشيق .. تتفرس وجهها في المراة عل الزمان كان رحيما في ترك بصماته ..

في الساعة السابعة كانت يد عصام تضغط على يد سميرة بشدة .. وكفها الصغيرة تغوص في اعماق كفيه الريفيتين الكبيرتين .. وعيناه الحانيتان تنغرزان بتعبد وخشوع في الوجه الندي الصبوح .

بصعوبة تلكأت الكلمات على شفتيه :

« يا عمري يا سميرة .. لكأني فارقتك البارحة .. كل ما تغير فيك انك ازددت نضوجا وجمالا وبهاء ».

كانت سميرة تسير مع حبيبها في الطريق بينما كان العجوز الطيب حارس المدرسة يغمغم بكلمات في سره :

« يا ابنتي الطيبة تستحقين كل خير ... »

الكويت **سهام عبد الهادي**

المراحل الثلاث

بقلم روز غريب

* * *

تكاد تكون نظرية التطور حقيقة واقعة ، تعقد بشأنها الفصول الضافية في كتب العلم الحديث ويعالجها الباحثون تحت موضوعين : اولا التطور البيولوجي في الحيوان والنبات ومن أدلته تحول ذراع الطائر الى جناح ، تطور قدم الحصان الى حافر ، اضمحلال الاعضاء التي لا فائدة منها نظير الزائدة الدودية واضراس العقل في الانسان . ويعللون التطور بقولهم انه وجه من وجوه تكيف الكائن الحي لمقتضيات البيئة ، ونتيجة توارث افراد النوع للصفحات المكتسبة التي تظهر في النسل بصورة متقطعة وتثبت بتوالي الاجيال والقرون .

ثانيا التطور الروحي والثقافي ، ومن أدلته ان بعض الشعوب اشد تخلفا من البعض الآخر في ميدان الحضارة . وهي حقيقة اشار اليها قدماء اليونان حين نعتوا الشعوب التي كانت دونهم حضارة بالبرابرة والمتوحشين . لكن الفرق بين نظرة اليونان ونظرة علماء اليوم ان هؤلاء يعتقدون — كما اعتقد ابن خلدون قبلهم — بأن التخلف مرحلة وقتية تمر بها كل الشعوب قبل انتقالها الى مرحلة ارقى واكثر تحضرا . في حين ان اليونان اعتقدوا بثبوت البرابرة في بربريتهم لانهم بطبيعتهم عاجزون عن التطور ، وهذه النظرة هي التي يدين بها اليوم اصحاب التمييز العنصري او التعصب العرقي .

ولو اردنا وصف المراحل التي تمر بها الشعوب في تطورها لقسمناها الى ثلاث : المرحلة البدائية او طور البداوة وفيها يكون الشعب مجموعة قبائل متنافسة وكتل متعادية ، وقد تنساق احيانا بحكم الظروف الى التجمع لتأليف دولة لكنها تعجز عن تأليف وطن .

أهل هذه المرحلة يسكنون رقعة واحدة من الارض فهم بفضل الجوار مضطرون الى انشاء العلاقات التجارية والاجتماعية فيما بينهم ، والتعاقد في سبيل بعض المصالح المشتركة ، فتقوم بينهم الاحلاف والمواثيق لكنها لا تجمع قلوبهم ولا تربطهم برابطة الاخاء والمودة .

في هذه المرحلة عينها يكون افراد الشعب عاجزين عن ضبط مشاعرهم الفطرية ، كالحسد والطمع والاثرة ، التي تفجر فيهم الحقد وحب الاعتداء . عاجزين عن السيطرة على انفعالاتهم من غضب وطرب والتياع والم ، فتراهم ملتهبي الشعور ، تجرحهم الكلمة العابرة وينهارون امام الصعوبة الطفيفة . تقوم قيامتهم اذا مات منهم فرد ولا تهزهم ابادة شعب بكامله . يحتدم بينهم الجدال لاتفه الاسباب فيسحبون الخناجر ويطلقون المسدسات. وفيهم الذي يذيبه الالم لعجزه عن تحطيم خصمه ، او يستبد به الهوى فيسقط صريع هواه .

وهم ، رغم اتصافهم بسرعة الانفعال والهياج ، قليلو النخوة ، مفتقرون الى الروح الاستقلالية . يميلون الى الجمود الفكري والاستمساك بالتقليد لانهم ، بدلا من السعي الذاتي المستقل ، يعتمدون في معاشهم على الكتل الصغيرة التي يرتبط بها كل منهم . افراد الاسرة الواحدة يتكل بعضهم على بعض ويستغل كل منهم الآخر . لهذا نراهم يمارسون عبادة الزعماء ويلتفون حول المتزعمين طمعا في الوصول الى المناصب والثروات عن طريق الاستشفاع والاستزلام .

في المرحلة البدائية هذه ينعدم الشعور الجماعي وينحصر اهتمام الفرد بذاته وبالكتلة الصغيرة التي اليها ينتمي . ولغلبة الفردية عليهم لا يتورع الواحد منهم من خيانة جماعته واستغلالها . لا يتورع الوالد من استغلال اولاده ، ولا يحجم الصديق عن خيانة صديقه وافشاء اسراره، ولا الاقارب عن التحاسد والتعادي وسطو بعضهم على بعض . ولا يرى افراد هذه المرحلة غضاضة في الرضوخ للغزو الخارجي وخدمة مصالح المتآمرين على بلادهم . لانهم تعودوا الجبانة امام القوي ، غريبا كان او قريبا ، وباتوا قليلي الثقة بذواتهم ، يتهيبون المغامرة والخطوة الاستقلالية ، الا اذا ارغمهم الضيق والخطر على الهجرة .

المرحلة الثانية من مراحل التطور هي مرحلة الوطن. وفيها لا يزال افراد الشعب منقسمين أسرا وطوائف واحزابا وجماعات كما في المرحلة الاولى . لكن بين المرحلتين فرقا ، وهو ان الانقسامات التي لا يخلو منها شعب ولا تحول دون تعاطفهم واحترام بعضهم لحقوق البعض الآخر . ذلك لان التجارب عركتهم وجعلتهم يدركون قيمة التعاون في سبيل المصلحة العامة والتكاتف لرد الشر ومنع الاذى . لعلمهم ان عواقب الشر لا تنحصر في مكان نشوئه بل تمتد كالوباء وتنتشر كنار الحريق وفي ظرف يسير تبلغ اطراف العالم .

ابناء هذا الطور يغارون على حقوق ابناء وطنهم كغيرتهم على حقوقهم الذاتية . لا يحتكرون خيرات البلاد التي اتخذوها وطنا بل يتقاسمونها . لا يحصرون عطفهم وعنايتهم في اولادهم بل يشملون بهما اولاد الآخرين . لا يقنعون بالكلام على المحبة والصدق والعدالة بل يمارسونها فعلا وعلى نطاق واسع .

ان مرحلة الوطن هي مرحلة انصهار الافراد في المجموع انصهارا يضمن لكل فرد حقوقه الطبيعية ويجعل ابناء الوطن الواحد شركاء في السراء والضراء ، في الارباح والخسائر ، فلا نجد فيهم الناقم الحاقد ولا المحتقر. المنبوذ ولا الذليل المستعبد . وليس من شأنهم الرضى بالحاكم المستبد ولا السكوت عن هضم حقوق العامل ولا اذلال المرأة واستعبادها .

الا ان ابناء هذه المرحلة لا يسلمون عادة من داء

الوطنية المتطرفة التي تعمي اصحابها عن مساوئهم وتزين لهم احتقار سواهم من البشر ، وربما ساقتهم الى الطمع في استغلال اهل الاوطان الاخرى واتخاذهم آلات لبسط نفوذهم والحصول على مزيد من الغنى والجاه . لكنهم اذا وقفوا من الشعوب الاخرى موقف العداء ، يخلصون لابناء وطنهم ويمتنعون عن استغلالهم وخيانتهم الا في احوال شاذة . واذا هوجم وطنهم هبوا هبة واحدة واستماتوا في الدفاع عنه .

المرحلة الثالثة هي مرحلة العالمية او الاخاء العالمي . واصحابها يتخذون الانسانية مذهبا ، ويعاملون البشر جميعا معاملة الحب والصدق فيبذلون لهم المساعدة والعطاء ، صارفين النظر عن اختلاف اديانهم وعناصرهم وطبقاتهم .

هذه المرحلة لم يبلغها اي شعب من شعوب الدنيا ولكنها انحصرت في افراد متفوقين سبقوا عصورهم بمئات السنين . منهم فلاسفة وانبياء ومتصوفون واولياء وقديسون ، ارتفعت نفوسهم عن الاطماع الانانية ، وابصروا وحدة الانسانية وائتلاف الكائنات على اختلافها . انفتحت قلوبهم للعطاء الشامل وارتقوا في معارج الكمال فلم يفرقوا بين عظيم وحقير ولا بين بعيد وقريب . وهم في كل عصر وبيئة قلة قد لا يجاوز عددها عدد اصابع اليد .

المرحلة الثالثة هي التي تلوح بها منظمة الامم المتحدة حين تدعو للتقارب بين الشعوب وتسعى لاقرار العدالة والحرية الكونية وتطبيق شرعة حقوق الانسان . لكن هذه المنظمة لا تزال عاجزة عن تحقيق المثل العليا التي تنادي بها ، ولا تزال اكثر مقرراتها واهدافها حبرا على ورق ، لسبب واضح وهو انها ما زالت تتألف من أمم تدين بمذهب التعصب الوطني ، ومن اخرى ضعيفة عاجزة عن اسماع صوتها واحقاق حقها . رجال الادارة فيها خاضعون لسيطرة الدول القوية المستبدة وانجازاتهم محدودة النطاق .

من كل ما سبق عرضه اود ان استنتج ما يلي :

اولا — ان شعوب العالم جميعا تنتمي اما الى المرحلة الاولى او الى الثانية من مراحل التطور . او تتأرجح بينهما .

ثانيا — ان لكل من المرحلتين عيوبا . ففي المرحلة الاولى منازعات داخلية تضعف من قدرة اصحابها على التطور . وفي المرحلة الثانية تعصب وطني يحلل لاهلها ظلم الشعوب الاخرى والاعتداء عليها ، فينغمسون في حروب خارجية تؤول الى اضعاف مركزهم واثارة باقي الشعوب عليهم وتحالفها للحد من قوتهم .

ثالثا — ان انتماء شعب ما الى المرحلة الاولى لا يمنع انتماءه الى الثانية وتطلعه نحو الثالثة . فوجود الشيع والطوائف والاحزاب في الدولة لا يمنع تعاون تلك الشيع على اساس من العدالة والحرية والاخاء . ولا يحول كذلك دون تعاونها مع الدول الاخرى على اساس من العدالة والحرية والاحترام المتبادل . كما ان حب الفرد لاسرته لا يقف حائلا دون حبه لاعضاء الاسر الاخرى . ولا يمنعه حبه لوطنه من حب اوطان غيره من البشر والتعاون معها الى اقصى الحدود .

رابعا — ان التطور لا يجري قفزا ولا يكفي ان نثقف الشعب المتخلف لنضمن انتقاله بين ليلة وضحاها من طور التخلف الى طور التقدم والرقي . فالتطور ، نظير كل ظاهرة فكرية ، عملية اختمار بطيئة تخضع لعامل الزمن ولا بد فيها من طور انتقال يقصر او يطول تبعا للظروف المؤاتية او المعاكسة .

ان الثورة الفرنسية حاولت القفز بالشعب الفرنسي من طور الى طور فمنيت بالفشل اذ تحولت الى منظمة انتقامية هائلة عمياء ازهقت ارواح الالوف من الابرياء وحرمت فرنسا عددا من قادتها ومفكريها ومهدت لظهور دكتاتورية نابوليون وعودة الرجعية الى فرنسا طوال قرن كامل ، ادرك فيه الفرنسيون ان جذور الماضي لا يمكن اقتلاعها بسهولة وان الصراع لا بد ان يقع بين القوى المحافظة على مصالحها بمحافظتها على القديم والقوى الثورية التي يلتبس فيها المخلصون اصحاب العقيدة بالادعياء المستغلين الوضع لمآربهم الذاتية ومنافعهم الشخصية .

وهكذا يبدو لنا ان تطوير الشعوب عملية معقدة يلعب فيها الزمن دورا اساسيا . فالشعب المتخلف مهما بذل من جهود للحاق بشعب يتقدم عليه حضاريا ، لا يستطيع مساواته ، لان نسبة التطور في الشعب المتقدم اضعاف ما هي في الشعب المتخلف ، وبمرور الزمن تزداد الهوة بينهما اتساعا ، الا اذا ظهرت في الشعب السابق بوادر الضعف والعجز وحالت ظروف مادية او غيرها دون استمرار نشاطه الصاعد ، وبذلك يترك للشعب المتاخر مجال اللحاق به ثم مجاوزته .

اما اذا استطاع الشعب السابق المحافظة على مركزه والمضي في سيره ، فكل ما يستطيع فعله الشعب المتخلف ان يجاهد للحفاظ على الذات ومكافحة ظواهر التخلف وتحقيق اكبر مقدار ممكن من الوعي والتقدم وفي طليعتها اقتناع افراده بضرورة التكاتف لتأليف وطن كشرط اولي للقوة والحياة . وقد سبق لي تعريف « الوطن » في مجال الكلام على المرحلة الثانية من مراحل التطور .

واترك للقارىء ان يحكم ويعين المرحلة التي ننتمي اليها في هذا الجزء من العالم ، كما اضع امام المتشائمين بأوضاعنا أمل الخروج منها في وقت من الاوقات ، وفقا لنظرية التطور التي تعمل عملها بشكل عاجل او بطيء ، ويبقى على الواعين منا ان يدركوا مسؤوليتهم في مساندة عملية التطور وتعجيل حركة السعي لانقاذ مجتمعنا من الآفات التي تشد به الى الوراء وتشيع الالم والشقاء في ارجائه وربما ساقته الى العدمية والاضمحلال .

روز غريب

دنيـــــــا

الدكتور لطفي عبد الوهاب يحي

جامعـة الاسكندرية

لم يكن وهما سرى عبر خيالي
يتخطاني وأهفو نحو مسراه فيمضي
لم يكن طيفا يراودني فاسعى
أمسك اللاشيء في آفاقه عبثا
فميضي
لم يكن وهما ولا طيفا ولكن ...
كان رؤيـا
كـان دنيـا
كان أمسي فيه أجتاز الدروب الشاردات ...
الثائرات على قيودي وسدودي
وعلى كل كياني وحدودي
وهو منذ اليوم يومي
ينبت الزهر بصحرائي واكداس صخوري وجمودي
يبعث الدفء بأكوام جليدي الراكدات
وهو بعد اليوم عمري وغدي
وهو قبل الامس كان البدء ، تهويمات خلق
قبل بدء البدء ، قبل المولد
لا ، لم يكن وهما ولا طيفا .
ولكن كـان حلما
صارخ النبضة حيـا
كـان رؤيـا
كـان دنيـا
الصباح الفض يمضي
والضحى الزاحف يمضي
والاصيل الضائع الخطوة يمضي
وقريبا يرتدي اليوم مسوح الليل ...
تطوي النور طيـا
غير ان الامس يبقى
في تضاعيف الدجى خصبا وبذرا
في مخاض الظلمة الدكناء ارهاصا ودقات وجود
وتراتيـل وفجـرا
فهـو رؤيـا
وهو انغام حياة كامنات
وهو سر العمر تهويما وتكوينا وريا
وهـو دنيـا
كان بالامس ربيع لامبالٍ
عابث النسمة يسري
في تكاوين شروق راقصات باسمات
ثم ضاعت نسمة الاشراق ...
في انفاس صيف لاهثات
تحرق الزهر وتذوي النبت في لفح سموم
وباعتاب خريف ...
حذر الخطوة جاء الحلم عمرا
جاء فيضا زاخر الموسم ثرا
جارف النشوة يسعى ويدق الارض سعيا
لـم يكن حلما ولكن ...
كان رؤيا ... كان دنيـا

في الرواية الوجودية

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

« العصاة » للمرحوم صدقي اسماعيل ١٩٦٤ رواية وجودية ، اكد صاحبها في تقدمتها على ان الاطار التاريخي للرواية هو الغاية منها ، وان اشخاصها بالتالي هم ابناء الزمن الذي عاشوا فيه ، وليسوا في قليل او كثير نماذج بشرية روائية ، وانما هم واقع انساني هناك في العالم ، قال :

« حرصا على الاطار التاريخي الذي هو الغاية من كتابة هذه الرواية ، لا بد من الاشارة الى ان اشخاصها هم ابناء الزمن الذي عاشوا فيه ومن الألتباس ان يعتبروا نماذج في قليل الكثير . (١) »

كما ان الناشر سجل على غلاف الرواية تعريفا بها ، هو انها : « رواية كبيرة تؤرخ التجربة الانسانية والقومية خلال نصف قرن من تعاقب الاجيال في سورية ، وتصور الحياة اليومية في ابعادها المختلفة ومتناقضاتها واحلامها » .

الرواية اذن تاريخ وجودي واقعي ، لتجارب اجيال من أناسي سورية الحديثة ، في فترة تمتد من مطلع القرن العشرين حتى ما بعد حرب فلسطين ، والتي يخوضها عدد من ابطالها ، أي أوائل الخمسينيات .

ان وجودية هذه الرواية متأتية بالفعل ، من انها الرصد التاريخي لتجارب اجيال من الاناسي السوريين يعيشون ظروفهم الخاصة والعامة في مواقف متسلسلة ، ومؤطرة بأطر التاريخ ، والواقع .

ان الزمن في الرواية هو مجرد وقت ، أي زمن تقويمي يقاس بالسنين والاعوام ، ويعرف بتسلسل الاحداث الاجتماعية والسياسية المختلفة .. الا ان المؤلف يعالجه باستمرار على انه تاريخية وجودية عاشها الابطال بكل واقعيتها اليومية ، ومتناقضاتها ..

لنسمعه يشرح هذه التاريخية .. ان « عدنان » يحاول ان يقنع ابن عمه عمران بعدالة العمل الثوري ، فيروي له احداث تأسيس العصبة ، ويقول :

« وشجعه ميل عمران الى السهر الطويل ورغبته في معرفة الاحداث التي تتعرض لها البلاد ، فروى له من خلال الوقائع كيف رأى نفسه ملزما بالاندفاع في العمل السياسي . والحقيقة انها ليست وقائع بالمعنى الصحيح بل تاريخ المنظمة التي ينتمي اليها ، او تاريخ شخص غريب قدر له في ذلك الحق ان يستدرج الجيل الناشىء وان يحظى بشهرة واسعة (٢) » .

(التاريخ) في هذا المثال شيء وجودي انساني ، بحيث الوقائع والاحداث هي وقائع التجربة التاريخية ، وشاهدة على ماجريات التاريخ ، تاريخ المنظمة ، وتاريخ الشخص الذي أسسها ، ويترأسها ..

« كانوا يرون انفسهم في مرحلة حاسمة من حياة الوطن كله ، ويشعرون بأن التاريخ قد اختارهم ليكونوا الطليعة المناضلة التي يتلخص كل قدرها في كلمة واحدة هي : البطولة . وقد درجت على ألسنتهم في تلك الفترة امثال هذه العبارات الضخمة : عنفوان الحياة ، نداء التاريخ ، انقاذ الانسانية ، الثورة المقدسة ، روح الامة وغيرها (٣) » .

وفي هذا المثال (التاريخ) شيء وجودي انساني .. انه قدر وواقع ، ومصير ، انه هو الذي يختار طليعته ويناديها للحياة ، للثورة .. والمؤلف بالفعل لتوه ينزل الى الحياة اليومية يرصدها بكل زخمها ومتناقضاتها ، ويربطها بأطرها الزمنية والمكانية الواقعية .

لندرس الرواية نجد ان المؤلف يلتزم فيها التسلسل التقويمي للاحداث ، مطلع القرن في ظل العثمانيين ، الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٦ ، ثورة الشريف فيصل عام ١٩١٩ ، الاحتلال الفرنسي عام ١٩٢٠ ، الثورة السورية عام ١٩٢٥ ، اضرابات عام ١٩٣٦ ، حوادث الاسكندرون عام ١٩٣٧ ، ثورة العراق عام ١٩٤١ ، حوادث الاستقلال عام ١٩٤٥ ، حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وهكذا ..

ولكن خطة المؤلف في هذه المحاولة للتاريخ الوجودي للاشخاص ، ان صح التعبير هي ان يتحدث عن (الاحداث) السياسية الكبرى ، وايضا الاجتماعية عبر تجارب الاشخاص الذين عاشوها ، كيف عاشوها وما هي مواقفهم منها !..

الجد محمد وولاؤه للسلطان ، ابراهيم والحياة الحزبية في وقته ، الخال رمزي والحرب العالمية الاولى ، ثم الثورة السورية ، سعاد ويونس وحوادث الاسكندرون ، عدنان وهاني وحوادث الاستقلال وايضا حرب فلسطين وغيرها ، مما ظل يربط الاحداث السياسية والاجتماعية بواقع التجربة الانسانية ، وواقع التاريخية الشخصية والجماعية ..

● كان الاستاذ (عدنان بن ذريل) اصدر عام ١٩٦٦ كتابه : - ادب القصة في سورية - تقديم المرحوم فؤاد الشايب ، وهو ثاني كتاب عن القصة السورية بعد كتاب (شاكر مصطفى) الذي توقف عند عام ١٩٤٥ . ثم اصدر كتابه عن عبد السلام العجيلي ط١ - ١٩٧٠ وط ٢ - ١٩٧٢ . وهذه الدراسة من كتاب جديد انجزه عن (الرواية السورية منذ مئة عام الى اليوم ، وتحدث فيه عن (٧٦) ست وسبعين رواية سورية ، سوف يصدر قريبا .

(١) - العصاة ، لصدقي اسماعيل ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٥ . (٢) - العصاة ، ص ٢٧٣ .

(٣) - العصاة ، ص ٢٩٢ .

ومن هنا كانت معالجته لتجارب (الاشخاص) معالجة نفسية في الاساس ، لنقل شعورية ، تصور الشخص الواحد في واقعه الحياتي ، ثم موقفه الحاضر ، ان التمثل في ذلك تمثل واقع انساني مرتبط هناك بموقف تاريخي ، او يومي راهن ..

كيف يفهم « صدقي اسماعيل » الموقف ؟.. انه يفهمه فهما واقعيا نفسيا ، لنقل ايضا شعوريا ، ويقصد منه الوضع الشعوري الراهن للبطل في الحياة ، وخاصة من حيث توعية ذاته وحاضره ، او تعبيره عن ذاته في حاضره .. ولذلك يرى ان (الشعب) نفسه له موقف ايضا ، وان (الكآبة) تصبغ مواقفه كما هي تصبغ مواقف الافراد (٤) .. ثم يقول ان (الحزن) كان موقف الشعب السوري من هزيمته في حوادث الاستقلال (٥) ..

هذا المدلول عنده شائع جدا ، وينضوي تحت المفهوم السارتري للموقف كما سنرى ، أي الاختيار التلقائي ، صبغه صدقي اسماعيل بصبغة تاريخية ، توحي بأن التاريخ ، وايضا الحياة اليومية اختيار تلقائي ..

ومع ذلك ، (الموقف) عند صدقي اسماعيل موقف شعوري وشخصي ، وهذا ما يميزه عن تمثل سارتر الذي يجعله بالاحرى اختيارا للوجود في عالم ما ، كما سنرى ..

ولما كان الموقف شعوريا صار وعيا فكريا ، او مزاجا وجدانيا ، او احساسا غامضا ايضا ، في سلوك معين .. يقول المؤلف في « الخال رمزي » :

« ولم تكن له وجهة نظر واضحة في رفض الزواج ، الا اذا اعتبرنا سلوكه في هذه الناحية موقفا فكريا (٦) » . ويقول في « ابراهيم » والد عدنان :

« ان ابراهيم كان يشجع عدنان على العمل السياسي . وان الابن المندفع كان معجبا بأبيه الى حد التقديس من اجل هذا الموقف الصادق (٧) » . ويقول في « عدنان » نفسه :

« ولم يخطر لعدنان يوما ان يتبين هذا التناقض الغريب بين موقفه الفكري ، واسلوبه في الحياة (٨) » . ويقول في « ابراهيم » ايضا :

« ذلك هو موقف ابراهيم في تلك الآونة ، شعور غامض بأنه يؤمن مصلحته الشخصية ويخدم وطنه في آن واحد (٩) » .

والامثلة في ذلك عديدة ، وكلها (شعورية) ، اي في الفكر ، والوجدان ، والسلوك ، والسلوك في الحياة نفسها ، ومعاناتها العينية ..

لنذكر ان هناك ايضا استعمالا لمصطلح (موقف) ورد فيه التنويه بالتصميم الذي اختاره الابطال وفق غاية معينة ، اورده المؤلف في حديثه عن (المواقف البطولية) ، قال :

« والمواقف البطولية ، أعني الشيء الانساني الصلب الذي يقف في وجه الاحداث ، ويصمم وفق مثل اعلى او غاية ابعد ، أبطال الفتوحات العربية مثلا ، الم يكونوا صورة للارادة الانسانية التي لعبت دورها في الاحداث (١٠) » .

النص على (التصميم) وفق غاية معينة هنا صريح ، بحيث يظل الموقف رغم كونه اختيارا اراديا شيئا مشعورا به ، او لنقل شعوريا ايضا يغرق في الكثرة الشعورية التي للغاية المتوخاة ..

وبالمناسبة لنذكر ان مفهوم (الموقف) عند ـ جان بول سارتر ـ استقاه هذا الفيلسوف من المعلم ـ هيدجر ـ وطوره .. ان المعلم «هيدجر» يقصد من الموقف (الحشد) من الظروف التي يسود فيها الناس سيادة مطلقة ، بحيث هو ارضية واقعية لظهور (الأنا) ، وتصميمها لذاتها هناك في واقع وجودي يعلوها دائما وتتعالى به ..

في حين « سارتر » يقصد منه (الاختيار الشخصي) النابع من الارادة بشكل تلقائي ، وينضوي الناس تحته كافة بفعل حريتهم .. ذلك ان (الحرية) عند ـ سارتر ـ حرية مطلقة ، والموقف وضع مختار دائما ، حتى (الغش) المموه او الارادي هو موقف مختار بحيث يكون الاسوياء الاجتماعيون ، او الغشاشون والاوغاد على حد تعبيرات سارتر مختارين لمواقفهم في الحياة (١١) .

واذا ذكرنا ان مطاع صفدي يقصد من موقف : ـ المبادهة ـ كما رأينا ، اي التأثير في العالم ، وان صدقي اسماعيل يقصد منه : ـ الوضع الشعوري في العالم ـ ، امكننا القول ان روائيينا كانوا مع الجانب الشعوري اكثر من كونهم مع (حشد) الظروف على حد تعبير معلمنا هيدجر ، كما كانوا مع المتابعة والتسليم بالامور اكثر من كونهم مع (الحرية) وتحقيق الذات على حد تعبير جان

---

(٤) ـ بخصوص كآبة راجع ص ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ٢٠٤ ، ٢٣٥ ، ٢٦١ ، ٢٧٣ ، ٣٢٧ ، ٣٥٧ وغيرها ..

(٥) ـ يقول المؤلف : الحزن العميق هو الرد الذي اعتاده هذا الشعب في الملمات خلال كل تاريخه البعيد . انه (موقف) الشعوب العتيقة ، الشعوب التي تحمل تراثا كبيرا يثقل الضمائر ويشعرها بالفجيعة في كل مصير ولا يسلمها زمام التاريخ ـ ص ٢٦١ ، ثم يتساءل اذا كان مرض العظمة ، او الفرار من الواقع ، او الخوف من القنابل وتهدم البيوت ، نفس الصفحة .

(٦) ـ العصاة ، ص ١١٦ . (٧) ـ العصاة ، ص ٢٩٧ . (٨) ـ العصاة ، ص ٣٥١ . (٩) ـ العصاة ، ص ٨٩ . (١٠) ـ العصاة ، ص ٢١٧ .

(١١) ـ تجد هذه التفرقة لنماذج الناس ، في رواية « الغثيان » لجان بول سارتر ، وفيها يعتبر سارتر ـ الغثيان ـ حالا تقربنا من عدم التمايز الكلي فيقاومها الناس باشكال مختلفة ..

ومن هنا ، فالغشاشون ، في نظره ، مصممون اختاروا مواقفهم اختيارا مطلقا وتلقائيا ، فعاشوا دوافعهم وميولهم دون كبتها ودون ان يستطيعوا كبتها .. في حين الاوغاد ، أي الخاملون ، وعديمو الشخصية يقاومون (الغثيان) بحيل العلم .

بول سارتر ..

ان صدقي اسماعيل بـدلا مـن ان يتخيل مواقف (ذوات) ، أو أشباح ابطال على نحو مـا يفعل مطاع صفدي ، آثر التاريخية الوجودية ، فنزل الى الحياة اليومية ، حوادثها همومها ومطامحها وصبغ ادبه بصبغة واقعية وانسانية في نفس الوقت ، حرصت ان تظل شيئا من واقع التاريخ هناك في العالم ..

وان محاولته التاريخ الوجودي لاجيال نصف قرن من الزمن محاولة شيقة اذن، وقد تكللت فعلا بالنجاح .. ذلك ان تقري الواقع التاريخي عبر تجارب الحياة اليومية في فترة نصف قرن سبيل صائب الى الانسان والوجود ، اذ (الوجود) من طبيعته وجود في العالم ، ومع الآخرين، ومن طبيعته زماني يعيش تاريخيته ..

ولا شك في ان (الصفة) المنهجية التي للمشاهد التي يقدمها المؤلف عن الجوانب المختلفة التي لهذه الحياة اليومية وتطلعاتها ، او ما تنم عنه من مواقف أنسانية وقومية هي حقا صفة تجريبية كلها الكثرة الشعورية النفسية ، كما قلنا ، ولكنها رغم ذلك كسب وجودي بفعل انها أطرت نفسها بأطار التاريخ وتجربة الجيل الجماعية ، تجربة الحياة العينية ..

ومن هنا ظلت اوصاف الرواية تمزج المنطق الفردي الذاتي ، بالمنطق الواقعي ، وايضا الخرافي الشعبي (١٢) .. في حين اشخاصها أناس من لحم ودم ، شعور وعواطف ، ارادة وضمير ، أناس من مجتمع معين ، وبيئة معينة ، وفترات زمنية معينة ، أناس قاسوا صروف الاعوام وكوارث الايام وعاشوا وطأة العرف وتناقضات واقعهم المتطور ابدا ..

كيف تصور الرواية هذه الاناسي ؟.. الملاحظ ان الرواية سارت على خطة واحدة تقريبا نجدها عند مطالعتنا اخبار هؤلاء وتجاربهم ، وهي الكلام عن الجسمانية ثم الطفولة ، والمراهقة ، فالاصدقاء والمعارف ثم المزاج والطباع ، الوظيفة والعمل ، ثم الاحداث التي شارك او اشترك فيها الشخص المؤرخ له ، ثم واقع شعوريته او موقفه من ماجريات العمل الروائي ..

وتدليلا على هذه الخطة سنتتبع الآن رسم المؤلف لشخصية « عدنان » بن ابراهيم حفيد محمد آل عمران ، وهو من أبرز شخصيات الرواية واكثرها ثراء وحيوية ..

« ... ولد عدنان في عام الثورة السورية ، وهذه الصدفة وحدها كفيلة بأن تجعله ذا اهمية في نظر نفسه على الاقل ، ولا سيما ان وعيه للحياة قد تفتح في غمرة الاضطرابات السياسية التي كانت تجتاح المدارس في الفترة القصيرة السابقة لعام ١٩٣٦ ، العام الذي اقترن بانتشار الروح الوطنية في انحاء البلاد (١٣) » .

« ... وحين كان في التاسعة من عمره كان نحيل الجسم شاحب الوجه ، كثير التعرض لاعتداءات الصبية الآخرين ، غير انه كان متوقد الذكاء ولم يكن يميل الى العزلة كما هو متوقع من تلميذ مجلد يحرز اعلى الدرجات في صفه ، بل كان له رفاق كثيرون من لداته ، بعضهم للعب والشغب والآخرون للدرس ، غير انه لم يؤثر واحدا منهم بصداقة خاصة (١٤) » .

ثم يستمر وتستمر اللوحات ، فنشاهد الى الصداقة التي نشأت بينه وبين عبد الرحمن والى الجمعية التي أنشأاها ، ثم مشاغبة التلاميذ على هذه الجمعية ، ثم نرى الى « عدنان » يعود من زيارة الى حلب حيث يمضي اياما في ضياع جده ، ثم نراه في حمص حيث يلتقي عبد الرحمن مع مشاهد عن المسافرين والحالة العامة وقتها عام ١٩٤١ والعراق ثائر والحرب العالمية الثانية لم تنفرج بعد ، ثم نراه في امتحان البكالوريا والذي يجتازه بتفوق ، ثم صداقته لاستاذ باحث يدرس العقلية الشعبية يطلب منه مساعدته في دراسته .. ثم :

« ... حين انهى عدنان دراسته الثانوية كان مزاجه الفني قد تبلور في حالة غريبة من القلق والهم ، فعلى الرغم من ميله الشديد الى الفعالية والمرح في الظاهر كان يشعر بأن ضحكات الشباب ليست الا أكاذيب ، وان هناك حقيقة واحدة هي انه كائن شقي خلق للالم والعذاب (١٥) » . الخ ...

ثم نرى اليه في الجامعة ، اذ يرضخ لمشيئة والده وينتسب الى كلية الحقوق ، رغم عزوفه عن التحصيل الجامعي ، او العلم ، ولكنه في الكلية ينصرف عن الدراسة الى قراءة جرائد الصباح والتسكع وفي صفه يلوذ بالمقاعد الخلفية في تهاون وكبر ، ثم نرى الى تعرفه هناك الى « سامي » وهو من حماه ، ومثله هو من جلاس القاعد الخلفية ويكون التعارف اثر اصطدام هذا الاخير مع استاذ ، ثم نرى الى الصداقة تنمو بينهما وهي صداقة العمر ولقاءات الصديقين في مقهى البرازيل ..

وهنا نعطف مع المؤلف فنرى الى (سامي) ونشأته الاولى في حماه ، واثر المحيط المحافظ المتزمت عليه ، ثم دراسته الثانوية ، ثم مزاجه .. ثم نعود من جديد الى « عدنان » وتعرفه على الاستاذ « ن. أيوب » مدرس التاريخ واستاذ سامي في حماه ، ثم حواراتهم في العمل السياسي ، والوعي التاريخي .. ومن جديد نعطف لنسمع الى وصف (ن. ايوب) وسيرة حياته ، طفولته الشقية المضطهدة ثم تحصيله الشاق ، الامر الذي يفسر تشاؤمه وهدمه وتشكيكه الشبيبة في كفاحها وقيمها ، ثم نعود الى عدنان وسامي ، تسكعهما وسفر سامي الى حماه ، ثم نطلع من خلال رسائل عدنان لسامي على احوال الجهاد الوطني من أجل الاستقلال ، وكيف تطوع عدنان

(١٢) ـ تجد ذلك في العديد من فصول الرواية ، انظر على الخصوص ص ٦٠ ـ ٦٢ ، و ص ١١٠ ـ ١١٣ .

(١٣) و (١٤) و (١٥) ـ العصاة ، ص ١٥٧ و ١٨٠ .

مع الشباب الجامعي في فرق المتطوعين الوطنيين وعانى الصدامات مع الفرنسيين ، حتى يكون ضرب البرلمان ، وما أعقبته من خيبة أمل ..

وهنا يأتي حديث (العصبة) ووصف هاني ، فنعرج لنرى الى مزاج هاني وطباعه ، ثم زواجه ثم كتاباته السياسية والاجتماعية ، ثم انتخابه نائبا في المجلس النيابي ، ثم تطوعه في حرب فلسطين والتي يتطوع عدنان فيها عام ١٩٤٨ ، ثم تأسيسه العصبة ، مبادؤها ، انضمام عدنان وسامي اليها ، جهادها ، صداماتها مع الحكومة ، وموت سامي في احدى الصدامات ..

ثم ابرز ما نقف عليه أثر ذلك حب عدنان لعاليه ، ثم فشل العصبة وتواريها ، ثم تفكير عدنان في الزواج ، ثم زيارته لابنة عمه عمران ، وتبينهما ان الكنز المدفون في منزل الاسرة في حلب هو نقود عثمانية باطلة (١٦) ..

لقد تعمدت أن الاحق رسم شخصية عدنان في الرواية لانها بالفعل ابرز شخصياتها ، وان لم تكن الشخصية الرئيسية فيها .. ذلك ان كل شخصية في الرواية تعيش بطولتها في تجربتها ومواقفها ، وتمثل تاريخية في حياتها وحياة جيلها ..

ان « العصاة » رواية قطاعية جيلية كما قلنا ، اي ترسم قطاعا حياتيا هو عائلة حلبية موسرة وذات جاه ، أظهر المؤلف احوالها في سير رجالاتها ، وسيرة العصر واحداثه كما عاشوها ، وانفعلوا بها وتكيفوا معها .. كل شخصية من شخصياتها مقصودة لذاتها ، وتمثل انسانا يعيش نمطا من الحياة ساعدت عليه ظروفه الخاصة والعامة .

الجد « محمد » وجيه حلبي وصاحب ضياع ، وهو متدين وموال للسلطان ، و « ابراهيم » ابنه موظف حكومي يقطن دمشق وهو من الحزب المحمدي ، مسالم ومهادن ، و « عباس » أخوه عالم تخرج من الازهر ويقطن اللاذقية ، « مديحة » ابنة عباس فتاة متحررة تنتهي بها اجتماعيتها الى طلاقها من زوجها الغيور ، « عدنان » بن ابراهيم هو ذلك الشخص الذي اثبتنا حيثيات تجربته ، طموح ، قلق ، متحمس للعمل الثوري ، يشارك في اعمال العصبة ، ويتطوع في فرق المقاومة ، ثم يشترك في حرب فلسطين ، الخال « رمزي » خال عروبي كان التحق بثورة الشريف فيصل ثم التحق بالثورة السورية ، « عمران » شاعر عاطفي ، محافظ في تفكيره متحفظ في سلوكه ، « هاني » نائب في المجلس النيابي جريء يؤسس العصبة لتنظيم العمل الثوري ولكن العصبة لا تستطيع ان تقاوم بل تفشل ويتوارى افرادها .. ثم عشرات من الشخصيات الاخرى لمعارف واصدقاء وفلاحين وهكذا ..

هل نقول ان الناظم لمشاهد حياة هذه الشخصيات هو الرصد للتجربة القومية ، او الفكر السياسي ؟. ان ذلك القول لا ينصف الرواية والتي كما نرى ترصد أيضا جوانب الحياة اليومية في شتى همومها، وتناقضاتها (١٧) .

واذن ، الاصح ان نقول ان الرواية طراز جديد من الكتابة الروائية ترصد (تاريخية) نصف قرن من الزمن، عبر تجارب افراد أسرة حلبيــة ، ومعارفهم .. هذه الرواية بالفعل ليست رواية سرديــة ، تحليلية بالمعنى المعروف ، أي التي تقوم على (حدث) كبير يعيشه بطلان فيها ، او اكثر ، وانما هي رواية مواقفية قطاعية جيلية ، تحشد الاوصاف والاحداث والمواقف في ذاتها دون ان تميل الى أسلوب الجو وتلقينه .. ان المنطلق في ذلك هو الواقع الانساني ، وعلى الخصوص الفردية الذاتية فيه ابتداء من معطيات الحياة اليومية ، ومن هنا قطعنا انها رواية وجودية :

« ان العصبة هي جو طليق وليست حظيرة ذات سياج ، هكذا تصورتها منذ البدء ، انها أشبه بالغابة المتوحشة تشتد فيها ضراوة الكائن الحي دون مبرر الا وجوده الفردي الصارم (١٨) » .

« ما دامت الحقيقة موقفا مفاجئا لا نعرف كيف نجابه به الحياة في تجربة ما ، كل على طريقته الخاصة ونؤمن به لاننا لا نستطيع موقفا آخر نتميز به ، لا قضية للانسان في هذا الجيل الا التفرد (١٩) » .

دمشق — عدنان بن ذريل

(١٦) ـ وهو صندوق كان اودعه الوالي التركي منذ اربعين سنة عند الجد محمد اثر استدعائه الى الاستانة ، ثم بفعل عزله وعدم عودته الى حلب ظل الصندوق في بيت الاسرة ..

(١٧) ـ يقول الدكتور حسام الخطيب : تعرض العصاة قصة تطور الفكر السياسي في سورية خلال النصف الاول من القرن العشرين ضمن أطاره الطبيعي وهو الحياة السياسية في تلك الفترة ـ عدد ١٣٠ كانون الاول ١٩٧٢ . ولكن ذلك غير منصف بل هو مجاف للصواب ، لان الرواية كما ترى جرد مواقفي تاريخي لتجربة الحياة اليومية والانسانية والقومية عند اسرة حلبية تعيش حياتها العادية ، اولى المؤلف فيه الانضواء الثوري المنظم الواعي اهتمامه لانه موضوع معايش يستحق التحليل ..

(١٨) ـ العصاة ، ص ٣٣٦ . (١٩) ـ العصاة ، ص ٣٩٠ .



ومـا المجـد الا للألى سهروا لـه
وليس لقوم عـن أذى الدهـر نـوم
ولا ذنـب للاقدار ان أفرخ الونى
وروع نفـس المحجـم المتبـرم
فـان هطـول الغيث ليس بنافـع
اذا رحت تلقي الحب في غيـر موسم

محمد العدناني

السمكة في الحوض البلوري

٭

تجري بلا هدف مع العمر   في ربقة الاغلال والأسر
وتدور حائرة مروعة   في سجنها وتدف من ذعر
وتغوص في صمت كذي أرب   للقعر ريثا دونما تدري
سبحت كما رسمت وساوسها   وتدافعت لهواجس تجري
دفعا وجذبا والهوى ألق   متضرم في الصدر والنحر
نيرانه عصفت لواعجها   بمخالب مسنونة تفري
هيهات ينقع من جوى نهل   والوجد غمر جاش عن غمر

سطعت حواشيها بمؤتلق   من مشرق الألوان كالفجر
صقلت غوارب كل حرشفة   منها كصقل غوارب الشفر
وتكتبت كقلائد درر   برقائق صيفت من الدر
وتسطرت نظما ونمنمة   بلباقة سطرا على سطر
وزعانف رصفت على نشز   من صدرها كالصارم البكر
أو أنها المقذاف تدفعه   شدا وخفضا حيثما تسري
وترف أحيانا زعانفها   كزنابق رفت من القر

نظرت بعيني مشفق حذر   وهوت على عجل الى القعر
عينان لا تغفو جفونهما   يوما على الاعياء في دهر
تتطلعان العمر شاخصة   بالنظرة الشذراء عن مكر
عينان لا هدب يحيطهما   ليقيهما في الماء من شر
عينان ساهرتان عن قدر   أيامها في الخفض والعسر
وفم لها ما أنفك من عطش   متلهب الشفتين كالجمر
تلقاه يكرع غير متئد   ويعب عن سعة وعن نذر

تجري ولا تدري أعن قدر   تجري وهل تسعى الى أمر
خبطت تجوب الحوض ضاربة   في لجة أصفى من الفجر
سطعت غواربها كأن بها   بدرا وليس هناك من بدر
حوض تضيق به فتقطعه   وتجوبه بالصمت والصبر
والناس في دنياهم سمك   يحيون بالأغلال عن قسر
يتخبطون مع الهوى شيعا   في مسلك من سعيهم وعر
جهدوا ولم تظفر يد لهم   الا بأوشاب من المر

دمشق   عدنان مردم بك

حينما وصل مخفر الشرطة ، بعد لاي وعناء ، سأله احد الحراس الليليين ان يجلس قليلا على ذلك المقعد الخشبي الطويل ريثما يحضر المساعد من المهجع وينظر في قضيته، ولكنه امتعض من الحارس وقال :

— الامر خطير ... ويحتاج الى سرعة .

اجابه الحارس وهو يتمطى ، وبصوت مختلط بآثار النوم :

— كل القضايا التي تصل الى هذا المكان خطيرة وتحتاج الى سرعة .

جلس على المقعد صاغرا ، وجعل محفظة ملابسه تحت منكبه وما ان سكتت انفاسه ، حتى اخذ يستعيد احداث الليلة الرهيبة .

وفجأة حضر المساعد من المهجع ، وسأله عما يريد ان يدلي به ، فاجاب :

— لقد حاول صاحب فندق الشجرة السامقة قتلي ، انتم بلا شك تحرصون على عدم وقوع مثل هذه الحوادث للمسافرين .

وسأله المساعد في اهتمام بالغ :

— تفضل واشرح الحادث كما وقع ...

— ربما لم اتمكن من احدثك بالتفصيل عن كل ما جرى لانني يجب ان اكون بعد ثلثي ساعة من الان في المطار .

— اذن هل تريد ان انظم ضبطا .

— هذا ما اتمناه ، وارجو ان تنتقلوا الى الفندق المهترىء فورا .. لتشاهدوا بأم اعينكم آثار محاولة القتل على السرير ، في الغرفة التي لا رقم لها والتي هي بجانب المطبخ.

انتهى المساعد بعد عشرين دقيقة من ضبط افادته ثم توجه نحو الفندق لاجراء التحقيق والقبض على صاحبه اذا وجد كفاية في الادلة ، بينما هو اعتذر عن مرافقة المساعد واستقل سيارة اجرة الى المطار .

ومن نافذة السيارة التي كان يطل منها على مناظر الجبل الخلابة ، اخذت تتدفق صور الحادث المخيف،

لقد تصور صاحب الفندق البدين ، ذا الشعر الاشعث والحاجبين الكثيفين ، في مستهل لقائه له ... لكم بدا امامه ، عند اول لقاء ، وديعا ... طيبا ... ودودا ثم انقلب بعد لحظات الى مجرم محترف ... لقد سأله بصوت رقيق :

— متى تود ان تستيقظ ...

— يجب ان اكون في المطار في السابعة تماما ، سوف اسافر الى براغ .

— حسنا ..

وتذكر كيف ان صاحب الفندق لم ينصرف وقتئذ ، بل ظل واقفا وكأنه يريد ان ينقض عليه بلا مقدمات .. وفجأة سأله :



بقلم عبد الرحمن البيك

★

— هل لديك اية عملة تريد المحافظة عليها ... فنحن لسنا مسؤولين عن فقدان اي شيء ..

اجابه في ارتباك ووجل :

— كلا ... شكرا .. شكرا ..

— ولكن لدينا ايصالات ..

— اعلم ذلك ... اعلم .. ولكن شكرا .. شكرا ...

تذكر هذه المحادثة التي كانت بمثابة تلميح عن النوايا الخبيثة التي



تنزع بها نفس صاحب الفندق ، فافتر ثغره عن بسمة الانتصار .. وقال في نفسه :

« اذن فصاحبنا لديه ايصالات .. لقد ظن انه بهذه الطريقة يستطيع كشف ملاءتي ... يا له من سخيف ... »

وتذكر ايضا كيف ان احد النائمين في غرفته قد اخذ يصطنع شخيرا مزعجا كان يعقبه بحركات يميلها عقله الباطني ... كما تذكر كيف ان شبحا يعمل لحساب صاحب الفندق قد فتح له باب الغرفة من الداخل.

لقد تأكد له الآن ان الرجلين ، استعانا بوسادة وضعاها على وجهه بقصد قطع تنفسه ، حتى ذهب بهما الظن الى انه قضى نحبه ، ولم يكتشفا انه ابقى انفه على صلة مع الهواء ..

وصلت السيارة الى المطار ، فظهرت له الطائرة التي سوف تقلع بعد قليل الى براغ ، من وراء زجاج صالة الانتظار والمسافرون يصعدون فرادى على سلمها . وعندما اقترب من الحاجز ضم يده الى جيب معطفه ليخرج بطاقة السفر من محفظته ولكنه صعق عندما لم يجد المحفظة في مكانها .. كيف سيصعد الى الطائرة ، ان البطاقة في المحفظة المفقودة وكل العملة التشيكية والدولارات وحتى جواز السفر ... يا للكارثة ..

هرع الى غرفة الهاتف ، وطلب من — السنترال — ايصاله بفندق الشجرة السامقة ، وجاءه صوت عرف منه انه صوت مساعد الشرطة الذي تصوره الآن وهو جالس وراء طاولة صاحب الفندق يراقب المكالمات الهاتفية بينما يقوم رجاله بالتحري عن آثار محاولة القتل .. وسأله المساعد :

— من يتكلم ...

فاجابه بصوت متقطع ومرتجف :

— سيدي : انني اتكلم من المطار، لقد ظهر لي ان محفظتي مسروقة

الجسر الاخير

★

وحين تراجع آخر وهم   عرفت به سحر كل رحيل
وحين تحقق آخر حلم   ورانت على الافق شمس الاصيل
وحين تجاوزت آخر جسر   تراءى بعيد مسيري الطويل
وقفت ولم يك بين الضلوع   زئير لهاث .. صدى مستحيل

ويمخر « يونس » قاع المحيط   وتستيقظ الدهشة الغافيه
وقبل انهزام التمني تدب الحياة بأوصاله الصاديه
ويستقطر الدفء من كوة   تجدده مرة ثانيه
«ويونس» يمضي و «حوته» يمضي   وتدنو مسافاته النائيه

واما تجاوزت كل الجسور   واما أضأت جميع الكهوف
واما تدانت جميع الشطوط   وأحيا التداني موات الطيوف
وما دام دفء الحياة يعربد بين الحنايا دني القطوف
سيبقى هنالك جسر اخير   يطالعني عند كل وقوف

دمشق   سلافة العامري

ارجو ان تسلخوا جلد صاحب الفندق حتى يعيدها اليكم كما ارجو ان تفعلوا ذلك مع مساعده ،لطويل ذي الشارب الغليظ .

ـ اننا مازلنا نقول بالتحقيقات ، ولم نعثر حتى الآن على اثر لصاحب الفندق ولا على مساعده ، يبدو انهما فرا من على السطح اثر ضجيجنا .

ـ ولكن الطائرة على اهبة الطيران ، وليس لدي بطاقة سفر ولا جواز ولا اية عملة ... ماذا افعل ؟..

ـ اننا نقوم بالتحقيق كما قلت وعند الانتهاء سوف نعلمك .

وضع سماعة الهاتف ، ثم خرج الى الصالة وهو في حالة شديدة من اليأس والقنوط ..

وفيما كان هو مستغرق في تأملاته ، يحاكم صاحب الفندق ،يعبر عن تمنياته في ان يجده مشنوقا او محكوما بالاشغال الشاقة ، اذ دوى اسمه في اركان صالة الانتظار فاسرع الى قسم الاستعلامات وهو يتصور ان مساعد الشرطة قد حضر على جناح السرعة ومعه صاحب الفندق مخفورا .. وخاطب نفسه قائلا :

« لن اسقط حقوقي عن هذا المجرم ... عند عودتي من براغ سوف اقاضيه امام المحكمة ... وسوف اطلب اغلاق هذا الفندق العفن ... » .

ووجد احد الموظفين يدفع اليه محفظة وهو يسأله :

ـ هل هذه محفظتك ...؟.

واختطفها منه وهو يقول :

ـ اجل .. انها بالذات ، من اوصلها اليك ؟...

واشار الموظف الى رجلين بجانبه وقال :

ـ لقد وصل هذان الرجلان لتوهما وطلبا تسليمك المحفظة .

انه صاحب الفندق بالذات ، يا الله ، بل وهذا مساعده ايضا .

اشاح بطرفه عنهما ثم انصرف يتفقد المال ويبحث عن البطاقة .. والجواز والصور العائلية كل شيء في مكانه ..

تقدم منه صاحب الفندق يريد مصافحته ، اجل انه ذلك الرجل الذي فتح له احد الاشباح باب الغرفة في الليلة الماضية واستعان مع مساعده بالوسادة من اجل خنقه .. انه الآن يتقدم لمصافحته .. هذا مستحيل ، لقد عجزت يده ان تمتد لمصافحته ... ركض مذعورا وبخطوات واسعة ..

وقال له صاحب الفندق وهو يتقدم منه :

ـ يبدو انك خرجت من الفندق قبل السادسة والنصف ولا ادري لماذا ؟... لقد وجدت محفظتك هذه تحت وسادة سريرك .. وعرفت انك نسيتها ...

خرج من صالة الانتظار دون ان يقول كلمة شكرا كانت بعض الخواطر قد اخذت تزدحم في راسه ... اذ لم يعد يصدق كل ما حدث .. فقد تكون محاولة القتل التي اخبر عنها الشرطة مجرد تصور ، او انعكاس لحالة الاعياء من السفر .. او ان شعوره بوجود وسادة على وجهه مرده الى حلم مزعج ... انه يتذكر الآن كيف دس محفظة نقوده تحت الوسادة قبل ان ينام حرصا عليها وتمويها ان قد تسول له نفسه ان يسرقها ..

اختلط هدير الطائرة مع خواطره، بينما كان يعدو في ارض المطار ، واستدار الى الخلف فشاهد صاحب الفندق البدين ، الاشعث الشعر ، مع مساعده ذى الشارب الغليظ يلوحان له بايديهما .. وهنا رفع يده وقال لهما ... شكرا .. ولكن الكلمة لم تبلغ مسامعهما .

حلب   عبد الرحمن البيك



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

* * *

رسالة .. كيف نؤديها

الذين يكتبون .. حينما يحلقون في عالم الخيال ، ويغترفون من دنيا الاوهام ما لا يلامس حياة الناس من قريب او بعيد ، فاذا هم يحدثونك عن كل عجيب غريب، واذا هم يطالعونك بعناوين غير مألوفة ، وربما تقرأ بينها : « الغابة الجرداء » و « النهر اليابس » و « السمكات العطاش » و « المغنية والخرساء » .. والى آخر ما هنالك من مثل ذلك ..

وحينما يتسكعون على موائد الآخرين ..

ويلتقطون من فتات هذه الموائد ما لا تسيغه اذواق من حولهم ، بل ما لا تسيغه اذواقهم هم ، لولا انهم يقسرون انفسهم عليه حبا في التقليد ، وتهالكا على التشبه بالغرباء ، حتى ولو كان هؤلاء الغرباء يعيشون حياة التبذل والانحلال فيما يكتبون ، فاذا هم ينقلون اليك بامانة الولي التابع مختلف الصور والمشاهد ، ويحدثونك عن : « راقصة السامبا » و « فتاة البار » و « المقامرون الاشرار » و « المنحرفون في السراديب » .. ثم الى آخر ما شاكل ذلك وجرى على نسقه ..!!

الذين يكتبون ..

حينما يفعلون هذا ـ وما اكثر ما يفعلونه في ايامنا ـ يبتعدون كثيرا عن الواقع الذي يعيشون فيه هم ، والذي يعيش فيه اولئك الذين من حولهم ، سواء كانوا على قرب في القطر الذي يحتويهم ، ام كانوا على بعد في وطنهم العربي الكبير في مختلف اقطاره وامصاره .

ولا عجب في ذلك ..

اليس الواقع الذي يعيشه اولئك جميعا يبتعد كثيرا عما ذكرت ؟! اليسوا حين يتحدثون حديثهم ذاك يسيرون في واد ، بينما واقعهم يسير في واد آخر ، يبتعد عنه كثيرا بحيث لا يلتقيان كلاهما ابدا ؟!

ان هؤلاء الذين يكتبون ..

حين يريدون ان يتحدثوا عن واقع امتهم ، يتحتم عليهم ان يتحدثوا عن امجاد هذه الامة ، التي استطاعت ان تتم انجازها في امد قصير من الدهر ، وذلك حين سارت الى غاياتها البعيدة في صف واحد ، وفي كلمة واحدة ، وفي قيادة واحدة ، لا تصدعها فرقة الانانية ، ولا يمزقها خلاف المطامع !

وحين يفعلون هذا ..

يوقظون الهمم ، ويشحذون العزائم ، ويوقدون الحمية في الصدور ، لينطلق الاحفاد في طريق الاجداد ، فينسجوا على منوالهم ، وهم يبدلون حاضرهم الكئيب ، بمثل ماضي اسلافهم الزاهر .

وفي ظلال ذلك ..

يتحتم عليهم ان يتحدثوا في كثير من الاسهاب والتطويل ، عن الفرقة والتنابذ واختلاف الاهواء ، التي يعيشها جميعا ابناء امتنا اليوم ، وهم احفاد اولئك الاجداد الذين خلدوا الامجاد في غابر الدهر .

وان يتحدثوا كذلك ـ وفي كثير من الاسهاب والتطويل ايضا ـ عن اعداء هذه الامة ، الذين جاهروها بعداوتهم ، واستطاعوا ان يغتنموا ما هو قائم بين ابنائها من خصومات ، فيقتطعوا منها الاجزاء الكثيرة ، وينزلوا فيها من المآسي والنكبات ما لا حصر له ، وهي في شاغل عن ذلك كله ، بما هو قائم بينها من خصومات ومهاترات ، وتنابذ عميق الجذور ، يجعل كل فريق يسير وحده ، لا يلقى به من عداه من اخوانه وبني ارومته .

وان يتحدثوا اخيرا ـ الى جانب ما سلف ـ عن اعداء هذه الامة الذين ما زالوا لم يكشفوا النقاب عن وجوههم بعد ، وما زالوا يتربصون بها الدوائر ، ليمارسوا العدوان عليها ، ويسلبوا ما بقي في ايدي ابنائها من خيرات الطبيعة ومواردها ، وذلك سيرا على غرار من سبقهم الى مثل هذا ، فلم يجدوا من يوقفهم عند حدهم، ويسترد من ايديهم ما سلبوه ..

وفي اعقاب ذلك ..

يصفون لهم الدواء الناجع ، الذي يستطيعون ان يعالجوا به ما هم فيه من اختلاف في الكلمة ، وتصدع في الصفوف ، ليستردوا في النهاية ما سلب من اوطانهم ،

ويصونوا ما بقي في ايديهم ، وينصرفوا بعدها الى بناء المستقبل الافضل ..

الذين يكتبون ..

عليهم ان يفعلوا ذلك ..

وحين يفعلونه ، يؤدون رسالتهم على حقيقتها ..

فهل يفعلون هذا ؟!

وهل يأتي اليوم الذي يؤدون فيه هذه الرسالة ؟!

صورتان من الواقع

هناك صورتان ..

الاولى منهما تطالعك في مكتب ، جلس على بابه من يذودك عنه ، ويحبسك الى ان يستأذن لك ، واذا ما فتح الباب بين يديك ، واجهك فيه انسان خلف منضدته ، يرد عليك التحية غمغمة مبهمة ، او لا يردها اطلاقا ، ويطل عليك بنصف اغماضة من عينيه ، وقد صعر خده ، وشمخ بأنفه ، وعقد ما بين حاجبيه ..

ثم يصرخ في وجهك بما توشك ان تظنه شتيمة ، ويقول لك بصوت يعبر بوضوح عن سأم ونزق ونفاد صبر ، وهو يردد :

ــ ماذا تريد .. ماذا تريد ؟! تكلم .. لا وقت لدي .. !!

وحيال هذا اللقاء غير الكريم لا ادري كيف يكون حالك ؟

ولعلك حياله ــ وفي افضل احتمال ــ واحد من اثنين :

رجل قهرته الحاجة ، وغلبه الاضطرار على ان يلتمس ما يبل رمقه في اي وعاء قدم اليه ، فهو لا يبالي في سبيل ذلك ان يتمثل بحكمة الانجيل القائلة : « من ضربك على خدك الايمن ادر له الايسر .. » !!

او رجل تعز عليه نفسه ان تهون ، ويمنعه خلقه ان يتحلى بغير الفضيلة ، فاذا هو يعود من حيث اتى ، ولسان حاله يردد : « ان التفريط بالمطالب والحاجات خير من التفريط بالكرامات .. »

تلك هي الصورة الاولى ..

واما الصورة الثانية فانها صورة تختلف عن تلك ، وفيها ــ كما يقول الفقهاء ــ يتبدل المضمون والمحتوى ، حيث يطالعك مكتب فتح بابه دون ان يذودك عنه احد ، وجلس فيه انسان خلف منضدته يرد عليك التحية باحسن منها ، وينطلق وجهه حين تقبل عليه بابتسامة كلها بشر ومودة وايناس ، وهو يسألك عن حاجتك بالصوت الخفيض والتعبير المهذب ، والنبرات التي تملأ نفسك بالامل والطمأنينة والارتياح .

وحيال هذا اللقاء الكريم ، لا بد لك ــ من غير شك ــ ان تشعر بانك حيال صديق وفي ، يدلي اليك بخالص النصيحة ، ويدلك على اقوم السبل ، التي تنتهي بك الى قضاء حاجتك ، اذا لم يكن قضاؤها من عنده .

وحين تقارن بين هاتين الصورتين ..

لا بد ان تتوارد الى ذهنك اسئلة شتى ، وربما كان اكثر هذه الاسئلة الحاحا واقربها الى نفسك متناولا ، ذلك السؤال الذي يقول :

ــ لماذا لم يجد صاحب الصورة الاولى من يلفت انتباهه الى ما يصنعه صاحب الصورة الثانية ؟

ولو كان هناك من يرد الجواب على تساؤلك ، لقال لك بصريح العبارة :

ــ هناك امور يعرفها الناس بداهة ، وقد عرفها صاحب الصورة الثانية ففعل ما فعله بوحي مما عرف ، ويبقى ــ بعد ذلك ــ ان يحاسب على ما فعلوا اولئك الذين يتجاهلون هذه البديهيات ..

وعند هذا المدى لعلك تقول معي :

بقي بعد ذلك ان يحدث هذا .. فمتى يحدث ؟

وهل هو يحدث حقا ؟!

ما أشبه الليلة .. بالبارحة

في الواقع الذي نعيش فيه ..

كثيرا ما تتوالى الاخبار بعدوان بعد عدوان ، يوقعه بنا الاعداء في مواطن مختلفة من بلادنا ، دون ان يجدوا منا ما يحول بينهم وبين ان يكرروا عدوانهم من جديد !

ولقد ذكرني ذلك بموقف مماثل في تاريخنا ..

وكان هذا الموقف ايام الغزو الصليبي على بلادنا ، حين كان يهدد من اقطارنا آنذاك : مصر والحجاز « وهي الجانب الغربي من العربية السعودية اليوم » والشام بكافة اطرافها الممتدة ما بين الساحل والداخل ، وهي المعروفة اليوم في تسمياتها الجديدة بـ « سوريا ولبنان والاردن » .

وفي ذلك الزمان ..

كان الاعداء يهددون دمشق ، ويواصلون ذلك بالحاح وهم يطلون عليها من قلعة « الشقيف » ، على نحو ما يحصل اليوم والاعداء يهددوننا وهم يطلون عليها من « مرتفعات الجولان » .

وكانت اقطارنا الواسعة في قارتي آسيا وافريقيا ممزقة الى دويلات ، تبيت كل واحدة منها الغدر لجاراتها ، ومن اجل ذلك كانت لا تتفق لها كلمة ، ولا يجتمع لها صف ، ولا يتوحد راي لولاة الامور فيها يتفقون معه على مجابهة ذلك العدوان الغاشم ، الذي كان يضربهم واحدا بعد واحد ، واخوانهم من حولهم لا يسعفونهم بغير البكاء والدعاء ، لانهم لا يجدون من يقودهم الى ملاقاة ذلك العدو ومناجزته !

وكان في مدينة دمشق ــ يومذاك ــ بطل مجاهد في ثوب عالم جليل ، وهذا العالم هو « ابن تيمية » الذي كان يخطب في الناس فوق المنابر ، ويحثهم على الجهاد ويستنفرهم اليه ، وذلك بما يعرضه عليهم من اخبار

وحدي

الصمت قنديل تدلى لاهيا | واللون مرآة بغير اطار
وهناك خلف الموقد الثرثار كم | كتب تثاءب فوق رف غبار
وبقية من ساعة في جرسها | شيء من الاعمار والأقدار
وازاء تختي لوحة زيتية | واظنها ستطير في الأدهار
أما الضياء ــ وفيه قصة شاعر | نجوى الخلود ـ فعبر كل ستار
هو قرط باب حالم ، وقلادة | في عنق نافذة بغير ازار
وهو العباءة أرتديها كلما | طاف الدجى وشعرت بعض دوار
وحدي انا .. والبيت كم سرر وكم | أشياء لا اسم لها وكم استار
سلمته قيدي وعانيت السنا | والمرتجي في ظله المعطار
ما بي؟ وأسمع غمغمات .. من ترى | هتك القناع وهد من أسواري
لهب ، دنى متصدعات ، اجنح | ظمأى ، تلال طوقت بالنار
.. وصحوت غب هنيهة فاذا انا | اتصفح المنسي من أشعاري

حلب ــ دار الكتب الوطنية

علي الزيبق

المآسي الرهيبة ، التي كان يوقعها الاعداء باخوانهم في كل مكان يتعرض لغزوهم ، مما تقشعر له الابدان ولا يماثله في بشاعته الا ما يوقعه اعداؤنا بنا حين يهاجمون الآمنين في المدن والقرى ، ويدمرون معاهد العلم فوق رؤوس من فيها من اطفال ابرياء !

ويستجيب الناس للعالم الذي يعمل بعلمه ..

ويقبلون اقبالا لا يشوبه تردد يعدون انفسهم للمعركة ، ويهيئون لها سلاح ذلك الزمان ، يصنعونه بأيديهم ، ويتمرسون عليه شيبا وشبانا ، وقد وضعوا نصب اعينهم قوله تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. » .

ويعم النفوس حماس غامر للمعركة ..

وتسري عدوى ذلك الحماس الى النساء في خدورهن ، فيبذلن الحلي لسلاح المجاهدين ، ثم يبذلن ضفائر شعورهن ليغزلن منها اعنة الخيل ، ليذكر فرسانها وهم يخوضون غمار المعركة مع العدو ، بأن من واجبهم الاستماتة لاحراز النصر ، مخافة ان يقع هؤلاء الحرائر سبايا في ايدي الاعداء .

وتوالت دعوة « ابن تيمية » في استنفار ابناء زمانه الى الجهاد ، تحت راية واحدة ، وصف واحد ، وذلك بعد ان تمزقت الرايات المتفرقة ، وتحطمت الصفوف المختلفة .

واخيرا تهيأ القائد الموثوق ..

وجمع هذا القائد الناس الى المعركة في صف واحد ، فساروا اليها جميعا بالعدة والعدد ، وابلوا في الجهاد بلاء حسنا ، لم يعرفوا معه الهزيمة والخذلان ، ولم يرهبهم بطش العدو وشدة بأسه ، وما يتوالى عليه من المدد المتلاحق ، الذي كان يحمله البحر دونما انقطاع اليه!

وكانت عاقبة ذلك :

النصر الذي ليس بعده نصر ، ثم رحيل الصليبيين عن بلادنا كلها بلدا بعد بلد الى غير رجعة .

لقد رأيتني اذكر ذلك كله ..

واذكره حيال العدوان المتلاحق على بلادنا حتى يكاد لا ينقطع ، والذي يكون دائما ــ على وجه التقريب ــ فوق ارضنا نحن ، وليس فوق الارض التي اغتصبها منا وجعلها له وطنا ، ليكون ذلك منه دفاعا عما في يديه من اسلاب .. !!

فمتى يكون من علمائنا امثال « ابن تيمية » ؟!

ومتى يكون من زعمائنا امثال ذلك القائد ، الذي استطاع ان يجمع الكلمة بين ابناء امتنا ، وان يوحد صفوفهم المتنابذة المتخاصمة في صف واحد ، يهزم العدو ويظهر عليه ، بعد الذي اوقعه فيهم من هزائم متلاحقة ايام التفرق والتمزق ؟!

ترى .. لماذا لا يكون ذلك ؟!

اليس حالنا اليوم مثل حالنا في ذلك الامس ؟!

عمان ــ الاردن

محمد سليم رشدان

يا لحناً ذائباً في كياني

نـــوال يونـــان



عربدي في صدري ..
يا كل كل انفعالات البشر ...
واصدحي ، واهزجي
وجني يا ترانيم الوتر
فانا سارقص اليوم ، واغني
واضحك وابكـــي ...
وانسج منك جناحين
اصفق بهما واطير
لاجوب رحاب الفضاء ..
لا لاتحدى طيور السماء ..
ولا لانسل من الشمس خيوط الذهب
وقبس الضيـــاء
ولا لاستقطر الغمام لري الفليل
فمنيتي ان اخبر الشمس
كيف يكون الضوء في العيون
اشرق منها ضياء ..
والغيوم اعلمها
متى يكون عطاء القلوب
اكرم منها عطاء ..
واهمس في حناجر الطيور
اغنيـــة تعلمها
كيف تكون ترانيم المحبين
اطرب غنـــاء ..
فيـــا اغنيـــة ..
تاهت في دروب غريبـــة
تفتش عن معنى للحياة ، اطيب
ويـــا لحنا ذائبا في كياني
قد يفني الوجود ، رغم ابديته
ويغور النهار في غميس الليل
فلا يدرك للصباح اشراقة
وقد تنفض .... اثواب ....
وتغدو مسوخا عارية مخيفة
واما بريق في عينيك
فسرمدي ...
واما ابتسامة ريانة العبق
فهي الوجود الابدي
واشراقة صباي
والمعنى الحلي لعمر ندي



جعفر الخليلي

الخليلي ابن خلكان القرن العشرين

بقلم الدكتور صفاء خلوصي

* * *

وافاني البريد بالجزأين الثالث والرابع من كتاب « هكذا عرفتهم » للبحاثة الاديب الاستاذ جعفر الخليلي وكنت ساعتئذ أجلس بين اجزاء « وفيات الاعيان » لابن خلكان ، فقلت في نفسي : كم كنت أتمنى لو ان الرجلين تبادلا مكانيهما وعصريهما لكان ذلك انفع للتاريخ وللادب فليس لابن خلكان النزعة القصصية والاسلوب الروائي اللذين يتحلى بهما الخليلي ، وليس له هذه القدرة على تقصي ادق الدقائق والتعبير عنها بهذه الحلاوة والطراوة ، وكانت صدفة فريدة نادرة لاوازن بين « وفيات الاعيان » و « هكذا عرفتهم » ، بين ابن خلكان والخليلي .

لقد بدات اول ما بدات ، بطبيعة الحال ، بالفصل الذي كتبه عن المرحوم الدكتور مصطفى جواد (١) لما تجمعني واياه من وشائج صداقة طويلة وطيدة ، ويضم الفصل ٨٥ صفحة ، ولعله اطول فصل كتبه الخليلي في سلسلة « هكذا عرفتهم » ، ووالله ما سمعت ولا قرأت موضوعا عن سيرة رجل بهذه الطرافة ، فكأن احد افراد اسرة مصطفى جواد الحميمين المطلعين يتحدث اليك عن ادق دقائق الرجل واخص خصائصه ، وهذا شأن الخليلي في كل ما كتب من تراجم ، ولعل ما يخفف من وطأة موت اصدقاء الخليلي انهم يفسحون له المجال ليتحدث عنهم بهذه الصراحة والروعة .

وتقتضيني النصفة العلمية ان اقول ان جوانب مما يذكره الخليلي عن مصطفى جواد مما انا مطلع عليه عن كثب صحيح كل الصحة ودقيق الى ابعد حدود الدقة ، مما يجعلني أؤمن بأن ما لم اطلع عليه شخصيا بنفس الصحة والدقة ، ولقد ذكر ان الاستاذ احمد زكي الخياط من المعجبين بمصطفى جواد (ص ٧٨) واود ان اضيف هنا ان الاستاذ الخياط ذكر لي انه يرتبط بمصطفى جواد بصلة قربى ، من جهة النساء ، وانه رآه ذات يوم بشيماغه الاحمر وعقاله جالسا على السلم الحجري العريض لوزارة المالية في « السراي » وكان هزيلا نحيفا على نحو ما غدا قبيل وفاته . كان ذلك في اوائل ايام نزوحه الى بغداد ، فحدثه واصطحبه الى الاستاذ طالب مشتاق لترشيحه الدراسة في دار المعلمين الابتدائية .

وثمة قضية اخرى رواها لي عن مصطفى جواد الاستاذ العلامة توفيق وهبي (٢) وقد ايدها من جديد مؤخرا عندما اتصلت به تلفونيا في داره العامرة في جنوبي لندن اذ قال : أطلعت الاستاذ الراحل الدكتور مصطفى جواد على بحث لي عن أصل تسمية قرية « بهرز » في لواء ديالي ، فكان مما قلته في مقالي : « ان بهرز تسمية ايرانية اصلها « بيهروز » أي « اليوم الطيب او الحسن» فقال الدكتور مصطفى جواد : « هذا راي مغلوط وانما الصواب انها سميت على اسم « بهرز » رئيس شحنة بغداد (٣) أيام العباسيين وكانت قريته التي يمتلكها » فنزل العلامة وهبي عند رأيه ونشر البحث فجاءه الرد من مصطفى جواد بانه قد جانب الصواب فاستغرب الاستاذ توفيق هذا الموقف العجيب المتناقض من الدكتور جواد وقال : « لا افهم لماذا اوقعني في هذا الغلط ، مع انني اكدت له صواب رايي وقلت له : ان هناك في تركستان نهر باسم يهروز ولكنه أبى الا اصرارا ... ثم خرج علي برد ! وقد نبهني الى هذا الرد الاستاذ كوركيس عواد في بعض زياراتي لمكتبة المتحف العراقي » .

ومن امتع الفصول التي كتبها الخليلي فصله عن « يوسف يعقوب مسكوني » فهل ملىء بالنكات والنوادر عن ذهوله وكثرة نسيانه ، وانه لكذلك فما خبرته خلال مزاملتي له في « قسم الترجمة والنشر » بديوان وزارة

---

١ ـ الجزء الثالث ، ص ٧٣ ـ ١٥٨ .

٢ ـ الاستاذ توفيق وهبي وزير معارف العراق الاسبق مقيم في لندن منذ اربع عشرة سنة وقد اصدر عدة كتب قيمة فيها المعجم الانكليزي ـ الكردي (بالاشتراك مع ايدموندز) وكتاب عن اليزيدية واصل الاكراد ، وقواعد اللغة الكردية ، والقصد والاستطراد في اصول تسمية بغداد ، وكان المرحوم مصطفى جواد من اصدقائه ومن زواره ومتفقديه .

٣ ـ هو محمد الدين بهروز ، تولى شحنة بغداد سنة ٥٠٢ ـ ٥٤٠ هـ ويقول العلامة توفيق وهبي انه ارمني اعتنق الاسلام وساعد ايوب والد صلاح الدين في تولي رئاسة القلعة في تكريت وازدياد نفوذ الايوبيين فيما بعد .

احلام طفل

وقالت : عيوني بلون البحار
وقلبي الصغير يرف كنحلة
وفي شفتي افترار الصباح
ودفء الضياء يحن لنهلة
تعال الي فحبي جنون
وشوقي اليك يضوع كفلة
تعال سنترع في كل درب
حكاياتنا شوق ثغر وقبلة
ونبني بظل الورود قصورا
ونحيا على كل روض وتلة
أجل أنت جراحي وجوعي
وانت بعمري أجمل ليلة
تعال حبيبي لنجن ونحيا
فقد عبر العمر .. الا أقلة

حلب — محمد جميل حافظ

« المعارف » بالامس و « التربية » اليوم ، ولكثرة ولعه بالتصوف « الشلمغاني » وكثرة تكراره لاسمه عرفه كل من بالقسم « بالشلمغاني » .. اغدق الله عليه واسع رحماته فقد كان مثالا للموظف المخلص والباحث الدؤوب .

اما فصله عن الدكتور اسماعيل ناجي ، فقد اثار في خواطر كثيرة مؤثرة اذ كان من اعز اصدقائي هو واخواه الدكتور خالد وطارق ناجي ، فهم يمثلون الشهامة البغدادية الاصيلة بأروع وانصع اشكالها ، ولو اتيحت لي الفرصة لكتبت كتابا كاملا عن « الدكتور اسماعيل ناجي صاحب العيادة الشعبية المشهورة » وهي اول عيادة من نوعها في العراق !..

الحق ان الدكتور اسماعيل لم يعش لنفسه وانما عاش للاخرين طوال حياته ... لاخوانه واصدقائه ومات مبكيا عليه من كل من عرفه ومن لم يعرفه ، فقد جمع الى جمال الخلق جمال الخلق .

ولا ازال اذكر يوما كاملا قضيته معه في « فينا » مع الدكتور كمال السامرائي ، فلم يدع مكانا رائعا في « فينا » الا وارانا اياه .. ولا سيما (كالنبرغ) او (الجبل الاقرع) كما كان يسميه ، لقلة ما فيه من اشجار ونباتات .

وان انس ، فلا أنس أمسية اخرى قضيتها معه ولم تكن هذه المرة في فينا ، بل في بغداد وفي داره في « الوزيرية » ، وقد رجاني ان القي نظرة على كتابه « أخطاء طبية شائعة » فرحت التهم الكتاب التهاما وابدي له ملاحظات لغوية عابرة هنا وهناك ، فكان رحمه الله جم التواضع يتقبل النقد برحابة صدر ، واذكر انني كنت وسط مراجعتي للكتاب عندما انطفات الانوار فجأة ، فاخذته الحيرة بعض الشيء ، ثم راح يبحث عن بعض الشموع في زوايا مطبخه وهو يغني الاغنية البغدادية المشهورة : « ما ريده ، ما ريده الغلوبي » (٤) ...

ستبقى هذه الصورة لاسماعيل ناجي في مخيلتي ما حييت ويؤسفني الا اوفق لتخليدها في مخيلة الاجيال القادمة .. فهي صورة تتحدى كلماتي وبياني .

وقد القى الخليلي اثناء كلامه عن المرحوم سعد عمر ، وزير المعارف الاسبق ، اضواء كاشفة عن كامل الجادرجي وولعه بالرسم اثناء فراغه ، واستخفاف سعد عمر بالسريالية ، وتصدي باهر فائق له ، وكيف ان سعد عمر اخذ خرقة كان الجادرجي يمسح بها ريشة الرسم ، فنظفها وكواها ووضعها في اطار واهداها للجادرجي ليضعها في صالة الاستقبال ، ولما سئل الاستاذ باهر فائق فيها اعجب بها وبعد ان حدق اليها بامعان متعمقا ومذيبا كل حواسه فيها هتف كمن ظفر بشيء ذي قيمة : « انها قنبلة هوريشيما ، وهذه آثار تدميرها !! »

ومن عجيب الامر وغريب المصادفات ان الخليلي لا يترجم الا لاولئك الذين احبهم انا حبا جما واتمنى ان اكون معهم في الدارين ، فمن اولئك مثلا الدكتور عبد اللطيف حمزة – وسع الله عليه رحمته واضفى عليه وافر غفرانه – فقد كان صديقا حميما وفيا ، وقد شكا لي غير مرة كيف انه كان رئيسا لقسم الصحافة في جامعة بغداد فلما تحسس رئيس الجامعة يومذاك بأن احد الاساتذة المساعدين في كلية الآداب مرشح لتولي احدى الوزارات سارع بالتواطؤ مع عميدها يومذاك الى عزل الدكتور عبد اللطيف حمزة من رئاسة القسم لتعيين الاستاذ المساعد المذكور رئيسا للقسم ، مع ان الدكتور حمزة كان قد استقدم لرئاسة القسم ووضع مناهجه وتسيير شؤونه بما عهد فيه من خبرة طويلة ، وان المرشح الجديد لم يكن مختصا بالصحافة مطلقا . هذا ما رواه لي المرحوم الدكتور حمزة بالحرف الواحد ، اردت تسجيله للتاريخ، لان بعض الناس يدوسون على ضمائرهم تبعا لشهواتهم ومنافعهم الشخصية ويظنون ان ذلك لن يسيء اليهم ، ولن يعرف عنهم يوما ما ، مع ان للتاريخ عيونا يقظى ساهرة تسجل ولا تغفل شيئا ، والخليلي جزء من هذا التاريخ ، فجزاه الله خيرا عن كل ما دون ووعى ، ولكأني ارى اسمه منقوشا في هوامش وفهارس العديد من الكتب التي ستدون وتقرأ بعد مئات السنين ، كما نقرا اليوم ما سطره ابن خلكان في الغابرات من القرون .

لندن — صفاء خلوصي

٤ – اي « لا اريده ، لا اريده » ... « وغلوبي » تصغير « غالب » باللهجة البغدادية .



حارث طـه الراوي

مـن ذكريـاتي الادبيـة

بقلم حارث طه الراوي

* * *

مـع محمـود تيمـور

قصير القامة من غير افراط . نحيف البنيـة . أبيض الوجه ، وبياض وجهه مشرب بحمرة . مخسوف الخدين ، صغير العينين ، صغير الانـف ، صغير الفـم ، رقيـق الشفتين ...

حـاد النظرات ، حتـى ليتناقض البريـق الصارم المنبثق من عينيه مع هدوئه النفسي واعصابه الساكنة ..

وقور . هادئ الحركـات والاشارات . هـادئ الصوت . ما يكاد يتحدث اليك حتـى يشعرك بالصلة الوثيقة بين قلبه الكبير ولسانه النظيف ...

يشير تواضعه الجم الى عظمته الحقيقية قبـل ان يشعرنا بها علمه الغزيـر ورأيـه الحصيف وشهرتـه المدوية ...

هذا هو محمود تيمور كما رأيته وكمـا عرفته لاول مرة في مؤتمر الادباء العرب الاول الذي انعقد ببيت مري في لبنان خلال ايلول ١٩٥٤ .

سمعت بنعيه قبل ايام فبكاه قلبي . ومثـل هـذا الرجل العظيم يبكي بالقلب ...

ان انسانية الانسان بما تنطوي عليه من شمائل نيرة هي اعظم من عبقريته ونبوغه وهي التي تستدر الدمـوع من قلوبنا ومآقينا عندما نفجع بعبقري انسان ... ، فما اكثر النابغين في كل علم وفن ، وما اقل الطيبين في عالمنـا الغارق في الشرور والمآثم !..

لسبب صحي لم يحل محمود تيمور في فندق بيت مري الكبير حيث حل جميع ادباء المؤتمر ولكنـه كـان يقضي اوقاته معنا في الفندق الكبير المندثر ...

كان يلف على رقبته النحيفة « شالا » مـن الحرير على طريقة المرحوم عباس محمود العقـاد .. ويتجنب الرطوبة ويؤثر الدفء لمرض يبدو انـه قد لازمه حتـى نفسه الاخير ، وكنا بدورنا نبحث عـن الدفء ولكـن في حديثه المتمهل العذب وآرائه المتزنة الناضجة ...

طلب الاستاذ فؤاد قاسم مديـر الاذاعة اللبنانية آنذاك من طائفة من ادباء المؤتمر ــ وكنت مـن ضمنهم ــ تسجيل بعض الاحاديث الادبية للاذاعـة اللبنانيـة فلبينا الدعوة . وكان تيمور قد سبقنا في التسجيل وفقا للترتيب المعد من الاذاعة ، وجاء ــ رحمه الله ــ وجلس بقربـي . ولم نكد نتجاذب اطراف الاحاديث الادبية الطريفة حتـى جاء الموظف المختص بالتسجيل وقال لتيمورو ان تسجيل حديثه ليس كما يرام ومن الافضل اعادة التسجيل ...، فلم يناقشه تيمور وانما قال له باللهجة المصرية :

ــ حاضر افندم ...

فأوضح له الموظف بأن موعد الاعادة سيكون فـي الواحدة بعد الظهر ــ وكانت الساعة بعد العاشرة بقليل ــ ولهذا اردف الموظف ايضاحه باعتذار لطيف مؤدب واشار على الاستاذ تيمور بانه يستطيع ان يمضي الوقت في اي مكان او محل يناسبه في بيروت ترويحـا للنفس وقتـلا للضجر قبل حلول الموعد المتأخر ... ، فآثر تيمـور ان يبقى رهين غرفة مدير الاذاعة لمـدة ثلاث ساعات بكـل رحابة صدر . فضرب بذلك مثلا في الصبر والتواضع مما اثار اعجاب ودهشة الجميع !..

وفي أيار (مايو) ١٩٦٣ زرت القاهرة لاول مـرة للنزهة وطبع مؤلفين مـن مؤلفاتي ، فاتصلت في اليوم العاشر من الشهر المذكور هاتفيا بالاستاذ محمود تيمور. ولم اكد اوفق الى محادثته في الهاتف حتى رحب الرجل بي ترحيبا قلبيا . ولما لمس رغبتـي في مقابلته في نفس اليوم ــ نظرا لضيق وقتي ــ تلطف رحمه الله بتلبية هذه الرغبة بالرغم من ارتباطه بموعد سابـق . وهكـذا تغلب هذا الاديب الكبير على ما تواضع عليه غيره من كبار الادباء من رسميات قد لا تخلو من أبهة ممقوتة او تكبر بغيض..

اتفقنا ان نلتقي بعد ساعة في مطعم ومقهى « بلوك » الذي ذهبت اليه قبل ربع ساعة من الموعد وانـا احمـل بيدي مخطوطة كتابي « مـع الشعراء » . وبينما كنت ارتشف عصير « الفراولة » اللذيذ أقبل الاستاذ محمـود

لماذا ؟

لماذا أنت كل الشوق والاحزان في عينيك
تلملم أحرف الدنيا ... تنمقها
لماذا أنت ترمقني ..!؟
تكاد .. تكاد تقتلني !
أحاول أن أعي شيئا ...
يلوح الي من رمشيك ..
لماذا الآه يا وطني تبوح بها ؟
وتحمل كل جمر النار بين يديك
لماذا الدمع تذرفه ؟!
غزيرا جارحا خديك
ألا تدري بانك لي أبي .. أمي
ومهما الحزن يأخذني بعيدا عنك
فاني دائما أبدا أعود اليك
باحلامي ... بأفكاري
بذاكرتي أعود اليك ..

عمان ـ الاردن — يوسف ضمرة

تيمور فنهضت مرحبا بقدومه فتعانقنا ثم جلس الاستاذ، واستهل حديثه بالترحيب بي ثم أخذنا نستعيد ذكريات لقائنا الاول في لبنان ...

وتطلع الاستاذ الى المنضدة فأبصر مخطوطة كتابي « مع الشعراء » فتناولها واخذ يقلب صفحاتها فوقعت عيناه على فصول متتابعة عن شوقي وصبري وشكري وناجي وخليل مردم والقروي وحافظ جميل وغيرهم ، فابتسم وقال :

ـ هذا كتاب مشوق لا يحتاج الى مقدمة ...

ثم اردف قائلا :

ـ اما اذا اردت ان اكتب لك مقدمة فأنا على اتم استعداد لذلك ...

فشكرته على هذا اللطف وصارحته بأني أفضل ان يبقى هذا الكتاب من غير مقدمة (1) ...

واستشرت تيمور في موضوع طبع الكتاب في القاهرة فحبذ الي طبعه في « دار القلم » واثنى على صاحبها محمد المعلم وزودني ببطاقة تعريف رقيقة وجهها الى المعلم الذي لم يحل ترحيبه بها وبي دون احالة الكتاب الى خبير اجازه في اليوم التالي .

وبعد احاديث ادبية شيقة اخبرت الاستاذ تيمور بأنني لا اريد ان استبد بوقته بعد ان علمت منه بالهاتف بارتباطه بمواعيد اخرى ، فسألني ـ رحمه الله ـ :

ـ الى اين اتجاهك ؟

ـ الى منزل الصديق الاستاذ قاسم الخطاط في الدقي .

ـ حسنا ، سأوصلك بسيارتي ...

فرجوته والحفت في الرجاء بان يعتقني من قيد لطفه هذا نظرا لبعد المسافة بين « بلوك » والدقي ، فلمست منه اصرار الكريم الذي لا يتراجع . وحاولت ان ادفع ثمن ما شربت وما شرب لانني سبقته في الحضور فأبى وقال :

ـ أنت ضيفنا الكريم ..

واتجهنا الى سيارته الفارهة السوداء ، فحاولت أن اجلس على يساره احتراما لشيخوخته ومنزلته الكبيرة ، فأبى الا ان اجلس على يمينه !

ولم يكد يستقر في السيارة حتى تقدم اليه شيخ فقير الحال يحمل نسخا صغيرة مذهبة من القرآن الكريم ، ولم يكد يتوجه الى الاستاذ تيمور بنسخة حتى مد تيمور يده الى جيبه واخرج محفظة نقوده واخرج مبلغا محترما من النقود واعاد اليه القرآن الكريم ليستفيد من ثمنه ..

وسارت بنا السيارة وكان تيمور هو السائل في الطريق الطويل وكنت انا المجيب ...

سألني ـ رحمه الله ـ عن الادب المعاصر في العراق واتجاهاته ، وسألني عن ادباء عراقيين اربعة هم : عبد الله نيازي وشاكر خصباك ومحمود العبطة وخضر الولي . وتذكر المقدمة التي كتبها لقصة نيازي « شجن طائر » والمقدمة التي كتبها لقصة خصباك « صراع » واثنى عليهما كثيرا . ورجاني ان ابلغ جميع من ذكر من ادبائنا تحياته وتمنياته القلبية ...

ولم تكد تقف السيارة بباب منزل الصديق الخطاط حتى رجوت بالحاح من الاستاذ تيمور بأن يتلطف بمشاركتنا في وليمة الغداء فأبدى لي من الاعذار ما اقنعني . وتعانقنا . ولم اره بعدها ويا للاسف . ولكنه تلطف باهدائي كتابين من كتبه الجديدة هما : « مناجيات للكتب والكتاب » و « انا القاتل » مع كتابين يبحثان عن حياته وادبه واتجاهاته في القصة . رحمه الله .

بغداد — حارث طه الراوي

1 ـ صدر كتابي هذا عن دار القلم بالقاهرة سنة ١٩٦٤ مصدرا بمقدمة للدكتورة نعمات احمد فؤاد . ولذلك حكاية خلاصتها ان الاستاذ محمد المعلم صاحب دار القلم استشارني ، على اثر موافقته على طبع الكتاب على نفقة الدار ، فيما اذا كنت اوافق على ان يكتب الاديب الكبير احمد حسن الزيات ـ رحمه الله ـ مقدمة للكتاب ، فعلقت موافقتي على شرط الا يقع علي عبء مفاتحة الزيات ما دمت منذ البداية لا ارى داعيا لكتابة اية مقدمة للكتاب فاخبرني المعلم باستعداد دار القلم التام للقيام بهذه المهمة . وبعد عودتي الى بغداد فاتح المعلم الاستاذ الزيات فكلف الزيات نعمات بذلك فكتبت المقدمة .

قصة الغيم الاسود

سامية كيالي القبيسي

بللوهوريزنتي ـ البرازيل

في منفاي
برج .. وسيف .. وصمت
قصتنا .. قصة الغيم الاسود
ونسيج الامنيات ..
امنيات حكناها بنول وهم وآه
عشرون عامـا
تمشي في عروقنا
تمزق نفوسنا
وتذيب الآهـات ..
عشرون عامـا ..
اتدري ما العشرون ؟
جنـون الخيالين
وعبث المراهقين ..
عشرون عامـا ..
وخيط عنكبـوت
يؤرجحني ، يكبلني
وبريق سيوفهم في عيوني
يـا لرائحة البخور
وقشور صلاتهم ..
يفتت احساسي ..
يسحق ظنوني ..

كيـف ..
ودون عزاء في اعماق نفسي
كيف أحيـا ؟
كيف اتنفس في ابراج الزهر
وسماؤنا في كـل عـام
تمطر مزيدا من الحزن ؟
ها قد عميت في الصمت
لا اشعر بهم ، ولا ارى الشمس
وبقسوة الرعب .. هاجرت
لامحو اليأس عن جفوني
والمدينة جاثية بين المقابر
وكلهـم نائمـون !
كان عالمهم من الصخور الجافة ..
وأهاجـر ..
واسبح في غلالة ضلال
أهاجـر وأعجب !
خطواتي لا توقظهم
ولا تفنيني ..
هكذا بـدأوا ..
هكذا يبقون ..
وأنا .. ماذا تراني لو بقيت
ماذا افعل قرب النائمين



قصة

بقلم عبد الحميد الانشاصي

★

انها قرية صغيرة ، ولكنها تتوسط سهولا واسعة خضرا ومحاطةبأشجار بواسق . واهاليها لا عمل لهم سوى الخروج الى اراضيهم ومزارعهم للعمل فيها في كد ونشاط . انهم يخرجون في الصباح ومعهم دوابهم وعلى دوابهم ادوات الزراعة ولوازمها . وفي المساء يعودون الى بيوتهم وعلى دوابهم احمال من الخضروات والفواكه والحطب ، لقد تعودوا تلك الحياة الشاقة، ووجدوا فيها متعة لا تقل عن المتعة التي يجدها المترفون من ذوي الجاه والثراء في راحتهم وكسلهم. واهاليها وان كان معظمهم فقراء او متوسطي الحال غير ان بينهم عددا قليلا من الرجال هانئا في معيشته لتربعه على الثروة التي خبأها من ناتج اراضيه. وهذا العدد القليل من اثرياء القرية وان كان لا يعرف من الوان الراحة واللذة ما يعرفه ذوو اليسار من اهالي المدينة الا انه مرموق من عيون القرويين الآخرين في حسد واعجاب .

ان سكان تلك القرية يعيشون في قناعة وهدوء ، ولا شيء ينغص عليهم عيشهم سوى شيء واحد ، انه الضبع التي تتربص بالمزارعين المتأخرين في عودتهم الى بيوتهم بعد المساء ، وتقطع عليهم الطريق ، وتفتك بالضعفاء والعزل منهم ، وتزعج الناس بصوتها المخيف المفعم بنغم يحمل معنى الشؤم والخراب .

وكانت قصص تلك الضبع موضوع احاديث القرويين في بيوتهم ومجتمعاتهم ليلا . وقد تركت تلك القصص في نفوس الاطفال والنساء أثرا يبعثالخوف في قلوبهم ولا سيما حينما يأوون الى فرشهم للنوم ، اذ كثيرا ما سرد بعض الاهلين القاطنين في بيوتمتطرفة من القرية ــ حكايات عن الضبع بعد اقترابها من تلك البيوت واطلاق صوتها المزعج في سكون الليل .

وكان بين القرويين رجل فقير اسمه « امين » يقوم بعمل شاق في ارضه البعيدة عن القرية لكي يتمكن من ان يكسب من الرزق ما يكفي لمعيشة اولاده العديدين . وفي ذات يوم سمع امين صوت الضبع وراءه وهو عائد الى القرية ، وكان راكبا حمارا . فحث الحمار على العدو الى ابعد حد يستطيع ان يبلغه . ومضى في طريقه كالسهم حتى انتهى الى منزله . وبعد ذلك راح يتجول في ازقة القرية داعيا الناس الى الخروج معه لقتل الضبع . ولكن الناس لم يكترثوا له ، ولم يكتفوا بذلك بل راح بعضهم يسخرون منه ويتهكمون به .

وقال له أحدهم :

ــ هل نسيت ابا أحمد الذي دعا القرويين الى الخروج الى الضبع منذ سنة تقريبا ؟ لقد حمل شبانهم المسدسات والبندقيات والعصي ، وخفوا للبحث عن الضبع . وبعد ان اطلقوا رصاصهم تبين لهم ان ما قتلوه هو كلب وليس ضبعا .

وقال له آخر :

ــ اقتلها وحدك ان كنت رجلا ، وعد الينا بها لنتفرج عليها .

ولكن امينا استمر على الاستنجاد بالقرويين الاشداء في حزم وعزم قائلا :

ــ الآن حانت الفرصة فلا تضيعوها بتقاعسكم واهمالكم . اذكروا الاطفال والشبان الذين فتكت بهم الضبع وافترستهم . اذكروا ما بعثته الضبع من الخوف والرعب في قلوب اطفالكم ونسائكم . يمكنكم الآن ان تقتلوها وتستريحوا من شرها الى الابد .

ولكن صيحته كانت شبيهة بنفخة في رماد . فمضى الى رجل ثري في عقله سعة لكثرة ما طالع من الكتب النفيسة ، وفيه ذكاء طبيعي يعزز تلك السعة . قال له امين في حماسة :

ــ ان الضبع قريبة من القرية يا ابا وضاح . وقد دعوت القرويين الى الخروج معي لقتلها ، ولكنهم ابوا ان يجيبوني الى طلبتي .

فقال له ابو وضاح في هدوء اوهم امينا انه لا يقل فتورا في الاهتمام بأمر الضبع عن غيره من القرويين :

ــ لماذا لم يجيبوك الى طلبتك يا امين ؟

فأجابه امين بصوت منخفض يمازجه شيء من اليأس :

ــ لانني فقير يا أبا وضاح . انني فقير . هذا هو السبب . ولو كنت غنيا لصدقوني واعانوني على قتل الضبع . ان الضبع يشمل شرها جميع الناس . وانا اسعى لمصلحة القرويين جميعا . (انهم جبناء كسالى . وهم لا يشعرون بما للضبع من اذى الا بعد ان تفترس واحدا منهم) .

فقال ابو وضاح بنغمة جدية احيت في نفس امين شيئا من الامل:

ــ ان ما تقوله لصحيح ، ولكن كيف عرفت ان الضبع قريبة من القرية ؟

(قد تكون واهما) .

فأجاب امين ابا وضاح بنظرة قوية ثابتة مفعمة بالثقة :

ــ من صوتها عرفت ذلك .

(أؤكد لك انها الضبع ، فلا

تردني خائبا) .

ــ من صوتها ؟ وهل سمعت اصوات الضباع من قبل ؟

ــ اجل. مرارا سمعت أصواتها. سمعتها عن بعد .

ــ وفي هذه المرة ايضا ؟

ــ في هذه المرة سمعت صوت ضبع عن قرب .

(احمد الله على نجاتي من الضبع سالما) .

ــ وبأي صوت من اصوات الحيوانات تشبه صوت الضبع ؟

ففكر امين قليلا ثم أجاب :

ــ اشبهه بأصوات مجموعة من الغربان تطلق في وقت واحد .

(اعتقد انك الآن مقتنع بانني اعرف صوت الضبع) .

فقال ابو وضاح بنغمة عصبية :

ــ لماذا لم تقتلها ؟

(انك جبان . رعديد) .

ــ لقد كنت أعزل .

وبعد هنيهة من الصمت قال ابو وضاح تيقنا ان ما يقوله امين صحيح .

ــ ما شكل الضبع ؟

(اعتقد انك لم تر في حياتك ضبعا ابدا) .

ــ شكلها ؟ انها شبيهة بالكلب ، ولكن ظهرها يقوم عليه شعر شبيه بعرف الحصان . لقد قتلت ضبعا ذات مرة .

فهز ابو وضاح راسه في ثقة وقال :

ــ حسن ! سأرسل ابنائي الاربعة معك . وكلهم شبان . وسأزودك وازودهم ببندقيات ومسدسات ورصاصات وخيل . اراض انت الآن يا امين ؟

(اشعر انك صادق . وارجو ان توفق في مهمتنا !) .

فابتسم امين ، واجاب في راحة :

ــ كل الرضى يا سيدي . الف شكر لك يا ابا وضاح ! الحق انك رجل شهم تساوي الوفا من القرويين .

وفي مساء اليوم التالي ذهب امين ومعه ابناء ابي وضاح الاربعة . وقد تسلحوا ببندقيات ومسدسات وامتطوا جيادا . ثم توجهوا الى المكان الذي سمع فيه امين صياح الضبع . وكان امين يسرد في اثناء الطريق حكايات عن الضباع، ويصف لرفقائه ما جرى بينه وبين الضبع التي قتلها فيما مضى . وبذلك اقام لهم دليلا على انه مغامر شجاع لا يخشى الوحوش . وفي الوقت نفسه بعث في نفوسهم جراة واقداما . ثم قال :

ــ أؤكد لكم يا اعزائي اننا سننجح



عبد الحميد الانشاصي

●

في مهمتنا ونقتل الضبع . ان في قتلها راحة لنا والجميع سكان القرية . ما لنا ولاولئك الذين تقاعسوا عن نجدتي ؟ ان في نجدتكم ما يكفي . انكم شبان مستنيرون كأبيكم . وهذا ما يجعلني افخر بأن من ينجدونني يمتازون عليهم برأي سديد وفكر صائب .

ثم قال احد ابناء ابي وضاح واسمه سليم :

ــ ان الاهلين مشغولون بمصالحهم عما يحدث بعيدا عنهم .

وقال ابن ثان واسمه رشيد :

ــ همهم ان يجمعوا مالا ويتناولوا طعاما .

وقال ابن ثالث واسمه علي :

ــ مساكين ! انهم لا يعلمون ان مشكلة الضبع هي المشكلة الكبرى في هذه القرية .

وقال ابن رابع واسمه توفيق :

ــ ان الاهلين لتنقصهم الوحدة عند الشدائد . لو ان هناك وحدة تجمعهم لعاشوا في سعادة وهناء .

وقال امين :

ــ ليس في القرية وعي . هم الاهلين ان يعرفوا السبيل التي تؤدي الى اكتساب الرزق فقط ، لا التي تؤدي الى السعادة والهناء . ان التفكير في اكتساب الرزق وحده فيه انانية وتفرقة . اما التفكير في الوصول الى السعادة ففيه وحدة وحب للجميع .

فاعجب الابناء الاربعة بافكار امين وان لم يتظاهروا بذلك . اكتفوا بنظرات هادئة القوها عليه في صمت وكبرياء .

وبعد ان ابتعد الرفاق عن القرية نحو كيلومترين التفت رشيد الى امين قائلا :

ــ هل مكمن الضبع بعيد عنا ؟

(حتام نظل نسير ؟ لقد حل الليل) .

فأجابه امين مبتسما :

ــ لقد اقتربنا من مكمن الضبع. اقتربنا .

وقال سليم لامين :

ــ هل الضبع رابضة في الطريق ام هي مختبئة بين الاشجار ؟

(اخشى ان تفاجئنا على حين غفلة منا فنقع فرائس لها) .

فأجابه امين بعد لأي :

ــ لست ادري . لعلها متربصة في الطريق ، فقد سمعت صوتها ، منذ يومين ، ينبعث من ورائي وكنت ساعتئذ اسير على هذه الطريق .

وقال توفيق لامين :

ــ لقد حل الظلام . اخشى ان

ازدادت السماء ظلمة ان نعجز عن رؤية الضبع . اما هي فبامكانها ان ترانا دون ان نراها .

(يجب ان نحترس منها والا هلكنا جميعا) .

فابتسم امين ثانية ، وأجاب في ثقة :

ــ لقد احضرت معي مصباحا يدويا كهربائيا . فلا تخش شيئا .

وقال علي :

ــ لا تفكروا في بعد المسافة التي بيننا وبين الضبع وفي مكمنها او حلوكة الليل . لقد ارسلنا والدنا لنقوم بمهمة . ومن يقوم بمهمة كمن يؤدي رسالة انيطت به . أي ينبغي لنا ان نضحي بالشيء الكثير في سبيل تأدية رسالتنا ان كنا نعتقد اننا نختلف عن غيرنا من القرويين .

فصاح امين في فرح واستحسان:

ــ مدهش ! هذا هو الكلام الذي يجب ان يقال في هذه الساعة . بديع !

(انك رجل شهم شجاع يا علي . هكذا اريد ان يكون جميع القرويين مثلك) .

حل الظلام في كل مكان . انتشر على الطريق التي يسير الرفاق عليها، فبدوا كأنهم ضالون لا يعرفون الى اين هم متجهون . وقد صبغ الظلام خضرة اوراق الاشجار بالسواد فأخفى لمعانها وبهجتها . وحجب الفضاء عن الطيور فجثمت في اعشاشها لتنام ، وبذلك حجبت انسها وطربها عن الآذان . وبدت النجوم في السماء كغبار متفرق من النور تسرب من ثقوب غربال . وقد خيم السكون على كل شيء فبدا نوعا من الكآبة والخوف . وكانت الاشجار شبيهة بمردة خرس غامضون .

وكان الرفقاء ينظرون حولهم في صمت وتسمع . لقد كانوا في انتظار صوت الضبع يهب عليهم من بين الاشجار . ولكنهم لم يسمعوا شيئا سوى حفيف جناح بين اوراق غصن، وصوت ضئيل بعثه طائر يضم اليه فراخه الصغار .

وبعد قليل قال امين لرفاقه متوقفا عن السير :

ــ هنا سمعت صوت الضبع .

فقال الاخوة :

ــ هنا ؟ في هذا المكان ؟

وتوقفوا عن السير ، واخذوا يستمعون ويبحثون بأبصارهم عن الوحش . وبعد برهة قال سليم :

ــ اين هي الضبع ؟

(لا شك ان الضبع شيء موهوم لا وجود له) .

وقال توفيق :

ــ لا ضبع ولا أسد . ان هذا المكان خال من الوحوش .

(لقد اتعبنا امين بلا فائدة) .

وقال رشيد لامين :

ــ هل انت على يقين بأن الصوت الذي سمعته هو صوت ضبع ؟

(أخشى ان يكون ما سمعته هو صوت كلب) .

فأجابه امين في ثقة :

ــ طبعا . انتظروا قليلا .

وقال علي لامين :

ــ هل انت على يقين بان هذا المكان هو المكان الذي سمعت فيه صوت الضبع ؟

فأجابه امين مؤكدا :

ــ طبعا . طبعا . اصبروا قليلا يا اخوان .

(أخشى ان تكون الضبع قد انتقلت الى مكان آخر . لقد جئنا الى مكمنها متأخرين) .

وانهم لكذلك اذ انبعث من بين الاشجار الممتدة عن يمين الجماعة صوت غريب ، فانصت الجميع في اهتمام وانتباه . ولم يكد الصوت ينتهي حتى صاح امين قائلا :

ــ انه صوت الضبع . انه صوت الضبع ما في ذلك ريب .

وقال علي :

ــ واذن فالضبع هنا .

فقال امين :

ــ أجل هنا . ان الضبع هنا .

وتفرق الرفاق ، واتجه كل منهم الى ناحية للاحداق بالضبع . ثم تكررت الصيحة مرة ثانية ، وكانت اقرب اليهم من الصيحة الاولى واعلى منها نامة . وكان امين يقترب من مصدر الصوت اكثر مما كان يفعل الاخوة . وكان كثير التلفت حوله اذ كان يخشى ان يكون على مقربة من الضبع من حيث لا يدري . وفجأة سمع خشخشة بجانبه ، فصوب اليها كل انتباهه ، وايقن ان الضبع بجانبه . وهم بأن يسلط عليها نور المصباح الكهربائي الذي في جيبه . ولكنه خشي ان فعل ذلك ان تهرب الضبع منه ، فانها لا تطيق البقاء بجانب الضوء .

اختبأ امين بين اغصان احدى الاشجار متربصا لئلا تراه الضبع ان اقبلت عليه . وكانت امامه فسحة لا نبات فيها . وبعد برهة قصيرة وقع نظره على شيء اسود ينفصل عن ظلمة الاشجار ويخطو في بطء . حدق اليه بعينين قويتين عيل صبرهما . انها الضبع . هي بعينها . ضبع كالتي رآها من قبل، بشكل جلدها المخطط وشعرها الطويل القائم كعرف الفرس على ظهرها . انه لم ير عينيها المضيئتين، فقد كانت منكسة الراس تنظر الى الارض في استرخاء ونذالة كأنها لا ترغب في البحث عن فريسة لها .

تناول امين بندقيته عن كتفه ، وصوب ثغرها الى الضبع . وفي تلك اللحظة رفعت الضبع راسها ، فوقعت عيناها المضيئتان على البندقية وهي تتحرك ، ورأتا وراءها وجه امين ، فأطلقت صيحة قوية ، ثم بالت على ذنبها ، واقتربت من امين نافضة ذنبها المبلول نحو وجهه . فانبعثت منه رائحة كريهة . وهنا وقف امين تنفسه ، وانطلقت من البندقية رصاصة شقت سكون الليل ولحم الضبع ، ثم استقرت في صدرها .

الى غزاة الفضاء

عيشوا على الارض أحبابا واخوانا ونسقوهـا ازاهيرا وريحانـا
وطهروها مـن الاحقاد واتخـذوا طريقكم فـي سبيل الحق أعوانـا
وانفقوا ذهب الدنيـا وفضتهـا للخير والبر ارواحا وابدانـا
وانقذوها من (الوحش) (١) الذي ابتليت بـه الحضارة آمـادا وازمانـا
وامشوا على ظهرها هونا فما برحت تحس فـي خطوكـم بغيـا وعدوانـا
ليس الحضارة صاروخا وقنبلـة ولا التمدن (اقمارا) و (افرانا) (٢)
ان الحضارة اسماهـا وارفعهـا ان تحسن المشي فوق الارض انسانا

آمنت بالعلـم اصلاحـا ومنفعة وقد كفرت بـه ظلمـا وطغيانـا
أجلـه آيـة للخيـر صانعـة وازدريـه سلاحا جـل اوهانـا
أجلـه آلـة للسلـم خادمة وأجتويـه أحابيـلا وأشطانـا
حتم على الارض ان تشقى بمـا كسبت ايـدي الطغاة بهـا اثما واضغانـا
وان يظـل الورى فيهـا بمـاجترمـوا سودا وبيضا واسيـادا وعبدانـا
وان تظل الشعوب البلـه سائمة مسوقة للذئـاب الطلس قطعانـا

يـا رائـدي طبقات الجـو هـل فرغت مشاكل الارض اوطانا وسكانا
وهـل اضاء السلام الكون وانتشرت انـواره واستقـام الحـق ميزانـا
وهـل تحقق للانسان مطلبه من الحياة واضحى الكون بستانا
وهـل غـدا العالـم الارضـي منسجمـا مذاهبـا ومفاهيمـا واديانـا
انـي لأسئل عـن هـذا واحسبكـم عمـا اسائلكـم صمـا وعميانـا
دعـوا الكواكـب والافـلاك واكتشفـوا ارضا طـوت قبلكم فرسا ورومانا
يايها القـوم هـل لـي ان اذكركم برائـد حـرر الانسان وجدانـا
(محمد) رائـد الدنيـا وقائدهـا الـى المحبـة اجناسا والوانـا
شريعـة كشعـاع الشمس نـيرة الناس في ظلهـا كالمشط اسنانـا
فـاءت اليهـا شعوب الارض واعتصمت بحبلها وسمت امنـا وايمانـا
من (المدينة) من اطوادها انطلقت لامن(نيورك)ولا(موسكو) و(ايفيانا)
مدينة النور عاد النور منطلقا من لابتيك قويـا مثـل مـا كانـا

(١) الوحش : الحرب (٢) الافران الذرية والاقمار الصناعية .

جازان ـ السعودية محمد علي السنوسي

فخرت على الارض مضرجة بالدماء.
تقدم امين الـى الضبع مشعـلا مصباحه الكهربائـي . فحاولـت النهوض فعاجلها برصاصتين قضتا عليها . انها الآن جثة ممددة لا حراك بها . حرك الجثة بقدمه فلم تتجاوب مع الحركة . وحينما سمع الاخـوة دوي الرصاص قدموا علـى عجل . وقد القى امين ضوء المصباح علـى الجهة التي قدموا منها لكي يتمكنوا مـن رؤيته ورؤيـة الضبع . تحلقوا حول الضبع في دهشة واستطلاع .

ـ احسنت يا امين يا بطل !

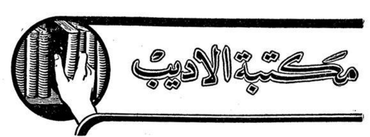
ـ لقد قتلت الضبع .

ـ عظيم !

ثم قال أمين :

ـ هيا نجر الضبع الى الخيل ثم نعود بها الى القرية ليتفرج الاهالـي عليهـا .

عمان عبد الحميد الانشاصي



مصادر الدراسة الادبية

تأليف يوسف اسعد داغر الاختصاصي بعلم المكتبات والببليوغرافيا والتوثيق العلمي

١ – القسم الاول من الجزء الثالث – من ارسلان الى العظم – ٨٦٤ صفحة – حجم كبير – منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات الادبية بالتعاون مع المكتبة الشرقية ببيروت

٢ – القسم الثاني من الجزء الثالث – من العقاد الى فؤاد اسد حبشي – ٧٨٢ صفحة – حجم كبير – منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات الادبية

للعلامة يوسف اسعد داغر فضل لا ينسى على الفكر العربي الحديث بما صنع من كتابة سير اعلامه ، وتحقيق مؤلفاتهم ، والاشارة الى مصادر ومراجع ترجماتهم ، ممن عاشوا بين ١٨٠٠ – ١٩٧٢ في ارض العرب الممتدة من الخليج الى المحيط .

وكان قد صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب عام ١٩٥٦ حافلا بمئات من اعلام الفكر العربي الراحلين ، جامعا بين الترجمة لهم ، واستقصاء مؤلفاتهم ومصادر الدراسة الادبية لهم ، مما ينوء جهد الانسان المعاصر بالقيام بمثله ، او النهوض بعبء هذا العمل العلمي الكبير .

وفي القسم الاول من مصادر الدراسة الادبية الذي ظهر عن الجامعة اللبنانية ، والقسم الثاني منه الذي لا يزال تحت الطبع ، ويكاد يظهر قريبا ، ٥٨٠ ترجمة ودراسة ببليوغرافية لادباء النهضة الحديثة في العالم العربي ، ويضمان معا ١٦٥٠ صفحة من الحجم الكبير ، على الرغم من ندرة الحصول على مراجع للكثير من اعلام النهضة الذين اغفل المعاصرون دراستهم ، واهملوا في تحقيق كل ما يتصل بحياتهم وفكرهم وتراثهم .

على ان العلامة يوسف اسعد داغر لم يبخل بشيء من الجهد والعناية والتحقيق والبذل على كتابه ليخرج في صورة كاملة ترضي آمال الباحثين والدارسين ، ولا ريب في ان الجزء الثاني من هذا الكتاب ، والجزء الثالث بقسميه مصدر اصيل لا غنى لاحد عنه في دراسة النهضة الحديثة ، والفكر العربي المعاصر والاديب العربي الحديث في مختلف بلاد العروبة .

لقد خلف لنا الادباء الذين ترجم لهم العلامة يوسف اسعد داغر في الجزء الثالث من كتابه نحوا من ستة آلاف كتاب مطبوع ، أشار اليها المؤلف ، وذكر اكثر من عشرة آلاف مصدر ومرجع ببليوغرافي عنهم يتقاسمونها على انساب واقدار مختلفة .

والمؤلف في هذه السير والترجمات الببليوغرافية عالم محقق موضوعي ناقد بصير ، يرسم صورا دقيقة لرواد الثقافة العربية الحديثة ولآثارهم في الادب والنقد والشعر واللغة والفلسفة والتاريخ والجغرافيا وادب الرحلات والصحافة وعلوم الدين والعربية ، وبين هذه الاعلام شخصيات ضخمة تعددت جوانب ابداعها الفني والعلمي والادبي ، فكان لا بد من الكشف عنها والاحاطة بها كما يقول المؤلف في مقدمة هذا القسم الاول من الجزء الثالث من الكتاب .

وكل دراسة من هذه الدراسات تتألف من ثلاثة عناصر رئيسية تستقيم وتتكامل لتؤلف وحدة متلاحمة : من هو هذا العلم ، وما مؤلفاته ، وما المصادر والمراجع الكاملة عنه .

وينتهي الجزء الثالث بقسميه بفهرس ابجدي مفصل شامل للدراسات الادبية الواردة فيه وفي الجزء الثاني من الكتاب ، حيث ان الاعلام الواردة فيها هي اهم اعلام العصر الحديث .

وفي الجزء الثالث ترجمات ببليوغرافية لنحو ١٨١ علما من اعلام الفكر والادب في مصر ، ولنحو ١٩٠ من رواد الادب في لبنان ، و٨٥ من سوريا ، و٩٠ من العراق ، وباقي الدراسات والترجمات تتقاسمه البلدان العربية على نسب متفاوتة على قدر ما توفرت للمؤلف من المراجع الخاصة .

وكثير من هذه الاعلام ادباء عاشوا في القرن التاسع عشر او في القرن العشرين ، او ادباء مخضرمون عاشوا في القرنين معا ، ومنهم واحد فقط من القرن الثامن عشر هو جرمانوس فرحات . وبين هؤلاء الادباء والكتاب : خمس عشرة اديبة وكاتبة عربية من لبنان وسوريا ومصر والعراق ، وتسعة عشر اديبا مهجريا من ادباء المهجر من اللبنانيين والسوريين ، وثمانية عشر طبيبا عربيا من مصر ولبنان والعراق وسوريا ممن خدموا الثقافة العلمية والادبية معا .

وفي الجزء الثاني من هذا الكتاب « مصادر الدراسة الادبية » ترجمات لـ ٢١٦ علما من ادباء النهضة وروادها تركوا لنا نحوا من ثلاثة آلاف كتاب مطبوع . بينما شمل الجزء الثالث بقسميه دراسات ببليوغرافية لنحو ٥٤٠ علما .

فمجموع رواد الفكر الحديث الذين تضمنهم الجزءان الثاني والثالث من هذا الكتاب معا هو ٧٥٦ دراسة ، وفي هذين الجزءين ما يزيد على اثني عشر الف مصدر ومرجع اثبتها المؤلف في مظانها من الكتاب ، لتكون عمدة للباحث ، وذخيرة للمحقق ، ومطلبا للدارسين عامة ، وهؤلاء الاعلام هم صفوة الفكر العربي والادب العربي والثقافة العربية في القرنين : التاسع عشر والعشرين .

وفي صدر القسم الاول من الجزء الثالث يذكر العلامة المؤلف المراجع العامة التي رجع اليها في تحقيق وكتابة هذا الجزء ، وللمجلات العربية التي رجع اليها – ويقع ذلك في خمس وثلاثين صفحة .

ان الجهد والعرق والبذل وطول المعاناة والصبر والتثبت تظهر بصورة واضحة في هذا الكتاب ، وهو محمدة لمؤلفه ، وموسوعة كبيرة لا غنى لاحد عنها .

والاخطاء المطبعية نادرة جدا في هذا القسم ، ومن بينها اسم « عبد الحميد العبادي » الذي ورد محرفا الى « عبد الحليم العبادي » ص ٧٥٦ من الكتاب .

ومن الاعلام الذين ورد الحديث عنهم في القسم الاول من الجزء الثالث : آل كاشف الغطاء ، وطاهر بن عاشور ، وابراهيم دسوقي اباظة ، وعبد الحميد بن باديس ، وايليا ابو ماضي ، واحمد محرم ، واحمد نسيم ، وعبد الرحمن البرقوقي ، وعلي احمد باكثير ، والبدوي الملثم ، واحمد فؤاد الاهواني ، ومصطفى وهبي التل ، وعز الدين التنوخي ، وعبد الرحمن الجبرتي ، وعبد القادر الجزائري ، وجواد

مصطفى ، وحافظ وهبة ، وعبد المسيح حداد ونظير زيتون ، وحسين والي ، وحسين شفيق المصري ، وحفني ناصف ، ومحمد علي الحوماني ومحمد الخضر حسين شيخ الازهر الاسبق ، وفؤاد الخطيب ، وأمين الخولي ، وخيري حماد ، وابراهيم الدباغ ، ودريني خشبة ، وعبد الرحمن الرافعي ، وعادل زعيتر ، واحمد حسن الزيات ، واحمد عارف الزين ، وسليم حسن الاثري ، وعبد الرزاق السنهوري ، وفؤاد الشايب ، وفؤاد شاكر ، وحمزة شحاتة ، ومحمد رضا الشبيبي ، وعبد الرحمن شكري ، وجمال الدين الشيال ، ومارون عبود ، ومحمد عياد الطنطاوي ، وحسن حسني عبد الوهاب ، وعباس العزاوي ، وقدري طوقان ، وعبد الله النديم ، واحمد عرابي ، وسعيد العريان .. وكثيرون .

اني لانوه بهذا الجهد الكبير ، الذي بذله العلامة يوسف اسعد داغر في كتابه ، واتمنى له مزيدا من التوفيق ، ولكتابه حظا كبيرا من الذيوع والتشجيع .

* * *

حيا الله ابن لبنان والعروبة يوسف اسعد داغر على ما بذل من جهد كبير في خدمة تراثنا الادبي والفكري القديم والحديث .

ان « مصادر الدراسة الادبية » يمثل موسوعة رائعة ببليوغرافية لاعلام الفكر والثقافة والادب في اللغة العربية على مختلف العصور والاجيال .

فالجزء الاول يحتوي على اعلام الفكر العربي القديم الى عصر النهضة الحديث .

والجزء الثاني يتضمن دراسات ببليوغرافية لاعلام النهضة من الراحلين الخالدين .

والقسم الاول من الجزء الثالث والقسم الثاني منه يتضمنان كذلك دراسات لـ ٥٨٠ علما من اعلامنا الراحلين من الادباء الذين عاشوا ما بين عامي ١٨٠٠ – ١٩٧٢ .

وهذان القسمان يحتويان على ١٦٢٢ صفحة ، ويشتملان على اكثر من ثلاثة آلاف كتاب لهؤلاء الاعلام ، واكثر من عشرة آلاف مصدر ومرجع عنهم ، وهو مجهود رائع حقا ، ويعد اعظم الاعمال العلمية في خدمة تراثنا العربي القديم والحديث معا .

وفي صدر القسم الثاني مقدمة للعلامة المؤلف ، وفهرست للاعلام التي تضمنها هذا القسم .

وفي خاتمته فهرست عام للجزءين الثاني والثالث اللذين يتضمنان اعلام العصر الحديث ، ويشمل الفهرست ما يلي :

١ – فهرس للادباء والمفكرين .
٢ – فهرس للدواوين الشعرية التي خلفها الشعراء المترجم لهم .
٣ – فهرس للمسرحيات التي الفها كتاب المسرح منهم .
٤ – فهرس للدوريات التي اخرجها الصحفيون منهم .
٥ – فهرس عام ، لادباء النهضة بين ١٨٠٠ – ١٩٧٢ ممن وردت دراستهم في الجزء الثاني والجزء الثالث من مصادر الدراسة الادبية مرتبة اسماؤهم على الهجاء .

و « مصادر الدراسة الادبية » : « منجم ثري من الفوائد والمعلومات الخاصة بالادب العربي الحديث في شتى مظاهره ، ومختلف تياراته ومذاهبه في البلدان العربية والمهاجر الامريكية » كما يقول مؤلفه .

والجزء الثالث منه مرجع من اوسع المراجع العربية واشملها واغناها ، لدراسة النهضة العربية الفكرية والادبية .

ومن الاعلام التي احتوى عليها هذا القسم : العقاد ، وعلي مبارك ، وعلي الغاياتي ، وعلي العناني ، وعنبر صادق ، ومحمد شفيق غربال ، وفريد ابو حديد ، وعبد الله فكري ، واسماعيل الفلكي ، ومنصور فهمي ، وفهمي المدرس ، وحسن القاياتي ، واسماعيل القباني ، وحسن قويدر ، واحمد الكاشف ، ومحمد كامل

الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

●

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي
٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل. ل. كحد ادنى
في الخارج : ٨٠ ل. ل. او ٤٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dic : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت – لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

حسين ، وازهد الكوثري ، وسامي الكيالي ، وكامل كيلاني ، ومحب الدين الخطيب ، وزكي المحاسني ، ومحمد الاسمر ، ومحمد البشير الابراهيمي، ومحمد مصطفى المراغي، وخليل مردم بك ، وعلي مصطفى مشرفة ، واسماعيل مظهر ، ومحمد منـدور ، وابراهيم المويلحي ، وعبد الوهاب النجار ، وحسونة النواوي ، ومحمـد الهـراوي ، وعبد المعطي الهمشري ، ومحمد حسين هيكل ، ومحمد فريد وجدي ، وامين سعيد ، وخالد الجرنوسي ، وابراهيم سلامة ، ومحمد هاشم عطية ، ومحمود غنيم ، وسواهم من تراجم الاعلام .

اننا نهنيء الفكر العربي بعامة والتراث الادبي الحديث بخاصة بظهور هذا الكتاب وبعده خير مـا صدر عـن الادب العربي والتراث وادب النهضة الحديثة من كتب .

فالى العلامة يوسف اسعد داغر كل تهنئتنا واعجابنا ، واليـه كل تقديرنا وتمنياتنا .

وندعو له بالتوفيق في اخراج باقي اجزاء هذه الموسوعة الرفيعة، التي سيضمنها تراجم المفكرين والادباء المعاصرين .

ونتمنى للكتاب مزيدا من الذيوع والانتشار .

القاهرة — **محمد عبد المنعم خفاجي**

•

قلب ونـــار

مجموعة قصص مؤلفة ومترجمة – تأليف عبـد الغني العطري – كتب مقدمتها المرحوم محمود تيمور – ١٩٢ صفحة – منشورات دار العلم للملايين ببيروت

ان صدور هذه المجموعة القصصية في هذه الفترة في اوائل السبعينيات يحمل اكثر من مدلول ادبي .. فمن جهة ، مؤلفها الاستاذ عبد الغني العطري رائد مكافح من رواد الادب العربي السوري الحديث ، عمل له انتاجا ونشرا منذ اوائل الاربعينيات ، وقد كانت مجلة « الصباح » التي اصدرها وقتها عام ١٩٤١ هي الساح الادبية لرواد الادب العربي السوري وقتها فؤاد الشايب ، ونسيب الاختيار ، وشكيب الجابري، وزكي المحاسني ، ووداد سكاكيني ، وشفيق جبري ، وعمر ابو ريشة، وجميل سلطان وغيرهم .. ومن على منبر صفحاتها بزغ نجم العديد من ادبائنا ، مثل عبد السلام العجيلي ، وبديع حقي ، وناجي مشوح ، وروحي فيصل وغيرهم ..

ومن جهة ثانية هذه المجموعة ، كما يقول تعريف الغلاف بهـا ، كانت مهيأة للنشر منذ اكثر من خمس عشرة سنة ، الا ان ظروف الحياة حالت وقتها دون ذلك .. بحيث هي تعيد الـى الاذهان سـيرة الرواد الاوائل للادب القصصي السوري ، والذين كانت تحولهم ظروف الحياة دون النشر ، ثم افتقدنا معظمهم ، ولم يتركـوا غير مجموعة واحدة ، مثل صبحي ابو غنيمة ، وله « اغاني الليل » ١٩٢٢ ، ثم علي خلقي ، وله « ربيع وخريف » ١٩٣١ ، ثم محمد النجار ، ولـه « في قصور دمشق » ١٩٣٧ ، و « همسات بردى » ١٩٥٠ ، ثـم فؤاد الشايب ، وله « تاريخ جرح » ١٩٤٥ ، ثم نسيب الاختيار ، وله « طيف الماضي» ١٩٥٢ ، ثم مظفر سلطان ، ولـه « ضمير الذئب » ١٩٦٢ وهكـذا دواليك ..

ثم من جهة ثالثة هذه المجموعة نجد فيها قصصا مؤلفة ، واخرى مترجمة، وهي سنة قديمة كنا نصادفها وقتها في ادبنا العربي السوري، اذ اخرج سامي كيالي « اضواء وانواء » ١٩٤٧ ، ثم خليل هنداوي له « المحب الاول » ١٩٥٣ ، ثم وجيه رضوان لـه « الصوت الخفي » ١٩٦٥ ، وكلها تحوي على قصص مؤلفة ومترجمة ، ناهيك بان القاصة الشاعر سلمى الحفار الكزبري اصدرت عام ١٩٥٢ مجموعة قصصية هي « حرمان » وتحوي ايضا على قصص مؤلفة ومترجمة ..

هذه الظروف الادبية ، وبالتالي المؤثرات التي صاحبتها في حيـاة عبد الغني العطري ، تركت اثرها في هذه القصص المؤلفة والمترجمة ، اذ انها العامل المباشر في الفنية القصصية التي ظهرت عليها ، وخاصة القصص المؤلفة ، واذا ابعدنا القصص المترجمة التي هي من اختيـار المؤلف وتدل على ذوقه ، وحسه الشاعري العاطفي ، وجدنا ان السردية التحليلية هي التقنية الاساسية فيها ..

ان المؤلف يحرص في هذه القصص على الحدث ، ولكنـه ايضا حريص على التحليل ، وعلى اللقطة النفسية ، والمسحة النفسية ظاهرة بوضوح في قصصه ، وتنوع هذه القصص الى نوعين بارزين ، الاول هو النوع المسمى باللقطة النفسية ، والثاني هو المسمى بالسرد التحليلي، وكلاهما يقومان على الاحداث الكبيرة والصغيرة ..

من النوع الاول ، هنـاك « الغـرام الاول » ، و « انتظـار » ، و « فستق سوداني » ومـن النوع الثاني ، « قلـب ونـار » ، و « الشيطان » ، و « البيت المسكون » ..

« الغرام الاول » هي في طفل دون المراهقة يحب ابنة عمته ، وبعد سؤال امه عن الزواج يطلب من ابيه ان يزوجه ابنة عمته ، ولكن دون جدوى ، فيسلوها .. و « انتظار » هي في وعد تضربه قارئة معجبة لاديب ، فيلبي الاديب طلبها ، ثم لا تاتي .. و « فستق سوداني » هي في اعجاب شاعر بمثابرة بائع فول سوداني على البيع فيرى فيـه صورة لمثابرته هو ويمنحه مبلغا كبيرا من المال لذلك .

اما « قلب ونار » فهي في الغيرة ، ولكن بطلتها بعد العديد مـن التصرفات الشائنة مع زوجها المحامي الذي تغار عليه ، ينتهي بها الامر الى الطلاق ، وانصراف زوجها الى اخرى .. و « الشيطان » هي في زواج معلم فاضل وتقي من فتاة من فتيات الهوى ، بعد لقاءات تغويه فيها ، فيؤثر العلاقة الشرعية .. و « البيت المسكون » هي في رؤيـة الجان والعفاريت في بيت سرعان ما يهجره المستاجر ، ويعرض عنـه النـاس ..

الابطال كما نرى من عامة الشعب ، المعلم والاديب ، والشاعر ، والمحامي ، والمؤجر ، والمستاجر ، والدكاني ، والزوجة الغيور ، والقارئة المعجبة وهكذا .. ومشاهد الحياة هي مشاهـد يومية تقريبا بعضها للطفولة ، والبعض الاخر للخرافة الشعبية ، ثم البعض للحب والزواج والطلاق والعمل ، والتسكع ..

واما الديباجة القصصية في ذلك كله فهـي تؤثر صحة التركيب في العبارة الجزلة ، وخصوصا السهولة والبساطة في التعبير ، واحيانا نصادف تعابير شعبية ساخرة لتنشيط السرد او الوصف او التحليل.. و « الاساليب » في معظمها مباشرة سواء سردت او وصفت او حللت ، يتخللها حوار شيق ورشيق في كثير من الاحيان ، والى اللقاء في نتـاج مقبـل .

دمشق — **عدنان بن ذريل**

•

خريدة القصر وجريـدة العصر
للعماد الاصفهاني – قسم العراق

تحقيق محمد بهجة الاثري – (؟) صفحة – من مطبوعات وزارة الاعلام العراقيـة

مؤلف الخريدة ، هو مؤرخ العصر الصلاحي الايوبي ، محمد بـن محمد بن حامد القرشي ، المشهور بعماد الدين الاصفهاني ، الكاتب الموسوعي الذي خلد بكتابه شعراء عصره ، (القرن السادس الهجري) ، كتب في

موسوعته جملة اخبارهم واشعارهم ، امتدادا من العراق وايران وفارس شرقا ، الى الشام والجزيرة ومصر والمغرب والاندلس وصقلية غربا . وانه لعمل ينوء بالعصبة اولي القوة والاختصاص ، مع تباعد الاصقاع ، ووعورة الاسفار ، وقلة وسائط السفر ، وصعوبة المواصلات ، ثم يضاف الى ذلك اشتغاله بنيابة واسط ، وبالكتابة في بغداد ، واتصاله بعد ذلك بالسلطان ، يوسف صلاح الدين الايوبي ، المجاهد المحرر لارض سوريا والقدس من يد الاعصار الصليبي ، يحمل اعباء الكتابة والنيابة ، ويرافق السلطان في حروبه وتنقلاته ، برغم هذه الاعباء الجسيمة استطاع العماد ، ان يؤلف موسوعته التي استغرقت كتابتها وجمعها نيف وعشرين سنة ، وسعت عشرة مجلدات ضخمة ، كان نصيب العراق من هذه المجلدات ، الثلث !

وقد حققت الاقسام الخاصة ، الجزيرة والشام ومصر والمغرب ، ونشرت لمحققين افاضل ، وحقق الاستاذ محمد بهجة الاثري ، الجزء الاول ، يشاركه الدكتور جميل سعيد . وانفرد الاستاذ الاثري بتحقيق الجزء الثاني ، وضم الجزءان (٧٥) شاعرا بغداديا . وحقق الجزء الثالث ايضا وقد احتوى على بقية شعراء بغداد وعدتهم (١٩٣) شاعرا . اما الجزء الرابع ، فيضم (٩٥) شاعرا ، غطت تراجمهم وشعرهم نحو الف صفحة ، « كلهم من صميم هذا الوطن الحبيب ، رفعوا مع شعراء حاضرتهم العظمى مشاعل البيان العربي الاصيل ، في كل رجاء من ارجائه ، وارتفعوا بالشعر اعلى ذرواته » (انظر مقدمة المحقق) .

واعتمد المحقق الفاضل المخطوطة ، المحفوظة في مكتبة الفاتيكان ، واتخذها اصلا او اما ، كما يصطلح اهل التحقيق ، لانها تزيد على مخطوطة باريس بتسع عشرة ترجمة ، وجعل مخطوطة باريس ، رافدة للاولى ، وجرى بعد تقويمه النص ، على النهج الذي نهجه في الكتاب كله ، فضبط ما رأى حاجة الى ضبطه من الالفاظ ، وفسر الغريب كلما وقع منه في النص ، مما يحتاجه القارىء الوسط ، وكفاه مؤونة مراجعة معجمات اللغة ، وعرض للجوانب التاريخية والجغرافية ، باسطا ، موضحا حينا ، ومتعقبا حينا آخر !

والاستاذ العلامة الاثري ، عرف باصالة التحقيق ، وعمق التدقيق ، ودقة التمحيص ، كما اشتهر برشاقة الاسلوب واشراقة البيان وجزالة الديباجة . اما الخط فقد بلغ فيه الذروة من الجمال والاتقان ، الى بسطة في العلم وموسوعية في المعرفة ، ورهافة في الحس وزكانة في الفهم ، وقد اوتي وسائل البحث ، وملك ناصية اللغة العربية ، وفقه اسرارها وله الى جانب نثره الفني ، شعر عذب ، وسع هموم امته ، وآمال وطنه .. ثم هو عضو في المجامع اللغوية والعلمية في القاهرة والشام والمدينة المنورة ، وكان من ابرز مؤسسي المجمع العلمي العراقي في نشاته الاولى ، ثم الى ذلك اوتي الصبر على التدقيق والتنقير في التحقيق وكان من اسبق كتاب النقد في العراق فاكتسب خبرة واسعة لطول ما عانى وما مارس في تحقيق كتب التراث .

حقق منذ صباه كتاب « الضرائر فيما يسوغ للشاعر دون الناثر » لاستاذه علامة العراق السيد محمود شكري الالوسي ، ولما يتجاوز سنه الثانية والعشرين . وحقق « مناقب بغداد » لابن الجوزي و « مساجد بغداد » و « بلوغ الارب » باجزائه الثلاثة لاستاذه الالوسي ايضا ، وحقق كتاب « ادب الكتاب » لابي بكر الصولي ، وكتاب « النغم » لابن المنجم ، وانجز تفسير ارجوزة ابي نواس . ويعكف اليوم على كتاب « نزهة المشتاق » فيصحح اعلامه ومدنه ويضبطه ضبطا علميا ، وكتب وحاضر في المجامع العلمية في العراق ومصر والشام والقى بحوثا قيمة في معهد الدراسات العربية العليا ، ابرزها محاضراته عن محمود شكري الالوسي ، والشاعر العربي عبد المحسن الكاظمي .

وانها لالتفاتة كريمة وسباقة من وزارة الاعلام العراقية ، حين رغبت الى الاستاذ الاثري ، لتقوم بنشر الجزء الرابع من الخريدة ، فقدم الكتاب محققا تحقيقا علميا ، مشروحا مقرونا بالتراجم للاعلام وزوده بالفهارس العلمية الفنية ، التراجم ، الاعلام ، الشعوب والقبائل والملل والبلدان والايات والاحاديث والامثال واللغة والكتب والاشعار . وبسط هذا الجزء جناحه على المدن والقرى والريف ووصل الشمال بالجنوب ابتداءا بشعراء اعمال بغداد ، وهي : المزرفة ، واني ، عكبرا ، دجيل ، الحضيرة ، الراذان ، الحول ، المدائن ، باجسرى ، بندنيجين . وصعد شمالا الى الحديثة وهيت ، والانبار ، ثم انحدر الى الحلة المزيدية والنيل والكوفة ثم ميل ، الى واسط والبطائح ، وختم مجموعته بشعراء البصرة وما بين نواحيها ومن بينها الاهواز !

لقد قامت مطبعة الحكومة بطبع الكتاب ـ وكانت تتلقى استدراكات المحقق وتصويباته بصدر رحب فلما ظهر الجزء الاول من هذا القسم برزت فيه الجودة وتجلى الاتقان ونال الرضا وحكم القراء بانه جاء غاية في الطباعة وآية في التحقيق ومفخرة لوزارة الاعلام ومكسبا ضخما للعراق ولمحققه الاديب الكبير الاثري !

وبعد فالذي اريد ان اخصص اليه من كلمتي هذه هو ازجاء التهنئة والحمد الى وزارة الاعلام لصنيعها في احياء كتب التراث العربي . وان اهيب بها مشكورة كي تتم خدمتها للعربية وقرائها فتكلل صنيعها باخراج الجزء الثالث من هذه الموسوعة الادبية اللغوية ، وفي عملها دعاية لها وللعراق وللمؤلف العراقي .

الاعظمية ـ بغداد　　**جمال الدين الآلوسي**

●

١ ـ قطوف لغوية

تاليف فتحي الخولي ـ ١٦٨ صفحة ـ مكتبة الارشاد (جدة)

الاهتمام باللغة العربية والبحث فيها ومحاولة معرفة اسرارها ... ليس وليد اليوم ولكنه من وقت بعيد ، وما يزال كثير من الباحثين يبحثون في بطون الكتب عن بعض كنوزها المطمورة ، واسرارها المدفونة . وهم في كل يوم واجدون جديدا ، ذلك ان اللغة العربية تحوي الكثير فهي كالمنبع الفياض كلما ازداد الحصول منه على الماء ازداد الماء تدفقا وجريانا .

وفي هذا الكتاب يقول المؤلف في مقدمته « فهذه قطوف من رياض اللغة الزاهرة وقطرات من بحارها الزاخرة ، جمعتها من بطون الكتب في فترات مختلفة ، اقدمها للقراء لعل فيها ما يحببهم في لغتهم العظيمة لغة القرآن الكريم » .

لقد كانت اللغة العربية حتى الفتح الاسلامي غضة الشباب لم يعتورها تشويه ، ولم يشبها تحريف ، والدليل على ذلك هو ان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو امام اللغة لم ينكر على احد من العرب شيئا في منطقه ، او عاب عليه اعوجاجا في مقوله الا القليل .

وقد بقيت اللغة كذلك حتى آخر عهد الخلفاء الراشدين ، وتلك نصيحة من عمر بن الخطاب ينصح فيها الناس بالاهتمام بشعر الجاهلية الذي هو ديوان العرب .

وقد ظهر اللحن في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بعد ان فتحت الشام ، ثم فشا اللحن حين نقلت بالدواوين الرومية والقبطية والفارسية وغيرها في عهد عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك ومن بعدهم .. واللحن أول داء اصاب اللغة وقد اسعفها الاوائل بخير دواء، الا وهو علم النحو ..

ولقد امتازت اللغة العربية عن بقية اللغات بالدقة والاختصار .

واول من الف في علم النحو هو أبو الاسود الدؤلي من بني كنانة ثم من بعده الخليل بن احمد وسيبويه ، ثم اتجه التاليف الى لحن الخاصة

على يد أبو هلال العسكري والحريري .

ولقد كان للاسلام تاثير في اللغة فعبر عن كثير من المعاني بالفاظ ازدادت بها اللغة نماء فضلا عن ان فتح الممالك الكبيرة كبلاد الفرس والروم زاد مجال اللغة بسطة بما نقل اليها من المعاني العلمية او المدنية .

واذا كان العرب قد أهتموا باللفظ اهتماما شديدا ، فانهم الى جانب ذلك قد اهتموا بالمعنى .. ولم يكن اهتمامهم باللفظ على حساب المعنى .

وبين الاهتمام باللغة والرقي ارتباط وثيق ، فعلى قدر ما تحتفظ الامة بلغتها على قدر ما يكون ارتقاؤها في حياتها الادبية .. ان اللغة تذكر الابناء بمجد الآباء وتهيج عواطفهم الى الاخذ بالسعادة ، والدليل على ذلك ان من اسباب سقوط بلاد الاندلس ضعف اللغة العربية عندهم بما خالطها من كلمات وأساليب .

وكثير من اللغات الاخرى ، غير العربية ، قد تبدلت وتغيرت على مر العصور . بيد ان اللغة العربية لما تحويه من الفاظ وردت في القرآن الكريم ، قد ظلت وسوف تبقى وتنقل الى الاجيال المتلاحقة سالمة وما ذلك الا بفضل القرآن الكريم الذي عمل على الحفاظ عليها .

وللفصاحة العربية عامل طبيعي من صفاء الجو وجودة الاقليم . وعامل وراثي من تلقين الآباء للابناء فنون الادب ، ومن بين قبائل العرب قوم لم ينزحوا عن اماكنهم كثيرا فمكنهم ذلك من اللغة .

وفي اللغة العربية توجد علاقة قوية بين المبنى والمعنى ، والكلمة كلما كانت قليلة الحروف كانت خفيفة مقبولة .

وثمة فرق بين الاغراق والغلو ، فالاغراق في وصف الشيء بالممكن في العقل دون العادة أما الغلو فهو وصف الشيء بالمستحيل عقلا . ومن الغلو ما هو مقبول ومنه ما هو مردود .

وكثيرا ما تؤدي المبالغة الى سوء الادب ، أما المترادفات فلها اثر كبير في بلاغة القول ورصانة الكلام . والمترادفات في اللغة تسد وجوها من الحاجة ، ولقد نشأ الكثير من المترادفات من تعدد المعنى او الاختلاف في الاحوال والصفات .

ولم يشأ المؤلف الا ان يطلعنا على نماذج من التوقيعات التي هي ضرب من الايجاز ، فهي لون من الوان البلاغة ، استخدمها الخلفاء والامراء والولاة الى الكتابة عن رأيهم على ما يرفع اليهم من مظالم ، وما يلتمس منهم من مطالب .

وتلك النماذج أن كانت تدل على شيء فانما تدل على قدرة اللغة العربية على التعبير بوضوح وجلاء باقل الكلمات من ناحية ، ومقدرة الخلفاء والولاة والامراء على التعبير عن رأيهم في بيان ووضوح وايجاز ، من ناحية أخرى ساعدهم على ذلك حبهم للغة وتمكنهم منها مما جعلهم يكشفون كثيرا من اسرار بلاغتها وروعتها .

ويطلعنا المؤلف على صور من الابداع اللغوي ، ولعل أبدع هذه الصور هي تلك الصورة التي تتحدث عن سر قوة الكلمة اذ ينقل المؤلف عن صاحب ظلال القرآن قوله « ان ومضة الروح .. وأشراقة القلب بنور الايمان بالفكرة ، هو سبب حياة الكلمات وحياة العبارات ... ان افكارنا تظل جثة هامدة ، حتى اذا متنا في سبيلها او غذيناها بالدماء ، أنتفضت حية وعاشت بين الاحياء » .

وللامثال العربية فوائد كثيرة فهي نزهة للبال ، وترويح للخاطر ، وطريق سهل وجيد لارشاد الناس ووعظهم او الحصول على هدف نبيل منهم . ومن كتب الامثال القديمة امثال لقمان الحكيم ، وكتاب كليلة ودمنة وغيرها .

والباحث في اللغة يقف على كثير من دقائقها .. فكل كلمة تقصد لمعنى معين قد لا يؤديه غيرها من الكلمات او لا يصلح لها . ففي الحب مثلا مراتب كثيرة منها (العلاقة) ثم (الكلف) ثم (الشعف ، بالعين) ثم (الشغف ، بالغين) ثم (الجوى) ثم (التيم) ثم (التدليه) ثم (الهيوم) . وكل كلمة من هاتيك الكلمات تدل على غير ما تدل عليه غيرها وان كانت كل منها مرتبة من مراتب الحب . لكن كل منها يعبر عن حالة خاصة تختلف عن الحالة الاخرى .

وهذا يبين دقة اللغة ، ومن دقة اللغة ايضا تغير الوصف قد يؤدي الى تغير الاسم مثال ذلك لا يقال (مائدة) الا اذا كان عليها طعام والا فهي (خوان) .

ولعل دقة اللغة تتضح ايضا في الضبط ، الذي يقوم بدور مهم في اللغة العربية ، فاذا تغير ضبط (شكل) حرف من حروف كلمة تغير معناها .

ولم ينس المؤلف ان يقدم لنا تصويبات لغوية لبعض الاغلاط الشائعة ، وقد تعودنا ان نقرأ مثيلا لهذه التصويبات على صفحات مجلة « الاديب » الزاهرة تحت عنوان « اغلاط شائعة » .

هذه قطوف لغوية حاولت قدر الجهد ان اقدمها للقارىء وحرصت على ان أبقي على ما فيها من نفع وهو كثير .. وان يكن هذا لن يغني القارىء الراغب في المتعة والفائدة عن العودة الى الكتاب وقراءته من جديد للتمتع بما فيه من طرائف والافادة مما يحويه من أبحاث لغوية فيتعرف بنفسه ولنفسه على بعض كنوز اللغة العربية واسرارها .

٢ ـ أشواك الروح

تأليف الاب كمال قلته ـ ١٢٠ صفحة ـ دار العالم العربي بالقاهرة

لم يكن غريبا ان يهتم المؤلف بالانسان ، وان يكون الانسان محور اهتمامه فالمؤلف رجل دين ورجل فلسفة ورجل ادب . ولقد حاول المؤلف ان يكشف عن تلك العلاقة التي بين الانسان .. والله ، والحب ، والمرأة ، والالم ، والموت ، واخيرا الطبيعة ثم عالج في النهاية موضوع « المسيح الكلمة بين الانجيل والقرآن » .

والانسان عالم مجهول وهو يجهل نفسه ولا يعرف من أسرارها الا اقل القليل ولكنه مع ذلك يملك العقل والضمير والارادة وتلك عناصر السمو فيه . انها أبدية خالدة لا تموت . والانسان أخ للانسان ، ووجوده متوقف على وجود الآخر ، ولولاه لما كان ، لذلك فالانسان يستحق الاحترام لذاته ، وليس للفائدة التي تعود علينا منه ولو احترم الانسان وجود أخيه الانسان لما كانت تلك الثورات المحمومة ولما كان هذا التعصب المميت .

ما أروع الكون ، ما أجمل الوجود ، بل ما أحلى الحياة كلها ، لو ان الانسان عاش أخا للانسان .

لقد آمن الشرق بالله ، وأهمل الايمان بالانسان . وآمن الغرب بالانسان ، وأهمل الايمان بالله . والايمان بالله لا يتم الا بالايمان بالانسان . والايمان بالانسان لا يتم الا بالايمان بالله . فالله مرتبط بالانسان .. والانسان لا يستطيع الا ان يرتبط بالله . وليس عصر كعصرنا حاول ان يتجاهل الله ، وبالقدر الذي حاول ان يتجاهله ، بالقدر نفسه كد في البحث عنه . وحينما يبحث الانسان عن الله انما يبحث عن نفسه ، عن معنى لوجوده . ان الحياة كلها ، بغير الله ، خبط عشواء . فراغ ، خدعة كبرى . ولكن الله هو الذي يعطي للحياة معنى . وبدونه فانها تنطلق من لا شيء الى لا شيء .

وهؤلاء الذين تصوروا الحياة عبثا كانوا على حق لانهم تصوروها بغير الله . وهي بغيره عبث في عبث .

ولا يمكن معرفة الله الا اذا عرف الانسان ذاته ، ولا يستطيع الانسان ان يعرف ذاته الا اذا عرف الانسان الاخر . فلا بد لك من ان تحس بوجود الانسان الآخر في حياتك . فالايمان بالله دون الايمان بالانسان واحترامه ايمان ناقص ، والايمان الناقص كفر ناقص .

والانسان لا يمكن ان يحيا بغير حب ، لقد عاش من أحب ، بل يمكن القول أيضا مع من قال « أنا أحب أذن فأنا موجود » ، وحب الجسد مقدمة للحب الحقيقي حب الروح . والحب لا يقف ولا يجب

ان يقف عند حدود الجسد . وهو لا ينتهي ولا يخطيء . لا يشيخ ولا يهرم . وهو يتعالى على كل مبدأ . وهو في الوقت ذاته الـذي يعطينا تفسيرا منطقيا مقبولا ومعقولا لكل سر في الوجود فما الحل الاوحد لكل الغاز الكون سوى الحب كما قال مرة جلال الدين الرومي .

وحب الله هو الكمال لفن الحب . وهناك حب موضوعه الاول الانسان ولكي تكون انسانا يجب ان تحمل للانسان شعور الحب والرحمة . فاذا امتلأ قلبك بهما وصلت الى حب الله .

هذا عن علاقة الانسان بالحب ، فماذا عـن علاقته بالمرأة ..؟ الرجل والمرأة لا يكتمل احدهما بدون الآخر . المرأة والرجل توأم لام واحدة هي الحياة ، وصنوان متكاملان متجانسان . وليست العلاقة بين الرجل والمرأة عقد ايجار او عقد امتلاك ولكنها رابطة الحياة .

ان المرأة هي حاملة مفتاح الكون . وهـي المسؤول الاول عـن استمرار الوجود واتصاله وانطلاقـه . وللمرأة دور أساسي في حفظ الحياة ، ولذلك فعلينا ان نرفع من شأنها ونحترمها ونقدر رسالتها العظيمة .

فالام مدرسـة ان اعددتهـا   اعددت شعبا طيب الاعراق

ولا يمكن الحديث عن الانسان بدون الحديث عن الالم . فالانسان قد كتب عليه ان يتألم . ولا بد وان يتألم . فليس ثمة حياة بغير الـم. ان الالم بعض من الحياة . حتى ليذهب المؤلف ان الوجود هو الالم ، ولا وجود بغير الم فيقول « انا اتألم اذن فانا موجود » علـى الطريقة الديكارتية المعروفة « انا افكر اذن فانا موجود » .

ولقد وقف الفلاسفة تجاه الالم موقفين متباينين . بعضهم يستسلم له ويرى انه لا مناص من الاعتراف به والخضوع لسلطانه وهؤلاء قوم متشائمون عاشوا في نكد وكتبوا في نكد .. حطم الالم كل رؤى الجمال عندهم . ففقدوا الامل في كل شيء . امـا البعض الآخر ، فاعتقد المؤلف ، كما تعتقد الاديان بان الالم عقاب الله للانسان المذنب وهـو تجربة بها يمتحن ايمانه . ويختبر معدنه . لقد تألم أيوب ثم استراح وتعذب يوسف ثم اصبح وزيرا .

والالم في المسيحية تكفير . فقد يتألم الانسان تكفيرا عن خطاياه . او خطايا الآخرين . والالم ايضا وسيلة للتطهير عن طريقه تصبح الروح اكثر صفاءا ونقاءا وشفافية .. كالنار تصفي الذهب وتنقيه من الزغل والشوائب . والالم يوقظ الانسان من غفلته . وهو بعد جديد يقيس الانسان به الحياة والنجاح والامل . بالالم يتخطى الانسان حدود الزمن والمادة الى عالم الروح والخلود .

لكن كيف نواجه الالم ، ان الوسيلة الوحيـدة لمواجهته هـو ان يخفف الانسان آلام الانسان الآخر . ان الانسان لن ينتصر على الالم في جسده ونفسه الا اذا انتصر عليه في جسد الانسان الاخر .

ويبقى بعد ذلك شبح آخر يخيف الانسان الا وهو الموت . وفكرة الموت تقض مضجع الانسان وتقلقه . بـل انـه الشيء الوحيد الذي لا يستطيع الانسان ان يحدق فيه . والادب الاوروبي المعاصر يعبر كله عن الموت بمرارة ويأس عميقين . فالكل يقف امام سلطان الموت ذليلا لا يقوى على شيء . ولكن لا يخلو الادب الاوروبي المعاصر مـن مفكرين واجهوا الموت بابتسامة الامل ، مثل كلوديل وجبرييل مارسيل وكذلك موريس بلوندل الذي يتغنى بالموت كما يتغنى بالحياة .

الموت ليس الا بابا يفتح على مشارف عالم آخر ابقـى وافضل . ولو كان كل شيء الى فناء والى عدم فما قيمة ما نشعر به من عطـاء وتضحية . ان غروب الحياة ، عند شعراء وفناني القرن الخامس عشر ، لم يكن سوى مرحلة الى فجر جديد . لم لا نرى في الموت محاولة لكشف عالم جديد ، ولم لا نرى فيه ذلك المرسى الـذي ينطلق اليه الكـل ليتحدوا بالكل .

وفي فصل مستقل يحدثنا المؤلف عن علاقـة الانسان بالطبيعة . فمنذ وجد الانسان ارتبط بأمه الطبيعة . علمته الطبيعة الحب والعطف والاخلاص . آه لو عرف الانسان كيف يبادل الطبيعـة حبا بحب ، وعطفا بعطف . واخلاصا باخلاص .

من الطبيعة نستمد المعاني الكامنة وراء هذه الحياة . ومنها نتعلم ان لكل شيء هدفا . ومنها نتعلم الثقة في النفس . فهي دائما في تجدد، في نشاط . في عطاء . مهما حل بها من الكوارث تعود دائما الى الاثمار والجمال . انها تعلمنا ايضا ان نعطي في كرم وأمانة . فالبحر يعطي ولا يجف . ومع العطاء تجديد وغنى . ومنها نتعلم فن الحياة في نظامهـا الرائع . منذ ملايين السنين لـم يتخلف ليل عن نهاره . ولـم يسبق شتاء صيفه .

والطبيعة تعلم الصدق والاخلاص . صدق بـلا ادنـى ريب . واخلاص بلا ادنى شك . وما أساس النجاح والتقـدم سوى الصدق والاخلاص .

وبعد فهذا كتاب جدير بان يقرأه كل انسان فهو يهتم بـه يعالج مشاكله يبعث في قلبه الامل الى حياة افضل وغد احسن .

٣ ـ المثل المقارن بين العربية والانجليزية

تأليف د. ممدوح حقي ـ ١٦٠ صفحة ـ دار النجاح ـ بيروت

ليس هذا اول كتاب يتحدث عن الامثال . ولن يكون اخرها . ولكـن ما يمتاز به هذا الكتاب هو تلك الدراسة التي قدمها المؤلف في فاتحته ، مما اعطى للكتاب ان يكون كتابا جادا وجديدا في الوقت نفسه . ولقد افاد المؤلف كثيرا من خبرته في عمله كخبير لخبراء المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي . فكان ان قابل بين ما يربو على الف مـن

الامثال العربية والانجليزية .

ان المثل يدور حول فكرة ما . ولكن من خلف . وهو يعرض هذه الفكرة واضحة جلية . لانه يلقي عليها نورا كاشفا . كما انه يمدها بما يثبتها في الاذهان . فتظل راسخة لا تمحى مهما مر الزمان . والمثل على وجازته يعطيك من المعنى ما لا يعطيك اياه كلام كثير وهو دليل فصاحة القوم وحسن بيانهم ومقدرتهم على التعبير عما يريدون في عبارة وجيزة ووقت قصير .

وثمة فرق بين المثل والحكمة . فالحكمة نتاج خبرة الحياة ، وعصارة فهم اسرارها . تبين فهم عميق لفلسفة الحياة . اما المثل فهو يشبه الحكمة في ايجازه ولكن يختلف عنها في عمقه . والمثل قد ينشا عن حادث يقع او حديث يكون ، اما الحكمة ليست سوى اعمال فكر وتعمق في درس الحياة . وكشف لاستارها وحجبها واستكناه لاسرارها. وبين الفلسفة والحكمة فرق كالذي بين المثل والحكمة . فالحكمة ترتفع حتى تقارب افق الفلسفة ولكن ليست هي الفلسفة بذاتها .

والمثل كما يعرفه المؤلف هو انتصاب صورة في الذهن تشابه صورة اخرى واقعة . ويجتمع في المثل اربع صفات لا تجتمع لغيره ، كما يرى النظام ، ايجاز في اللفظ ، واصابة في المعنى ، وحسن في التشبيه . وجودة في الكتابة . والايجاز في اللفظ يعني ان يحمل اللفظ معناه ، فلا يزيد عن ذلك بغير فائدة ، والا فالزيادة لغوا .

واصابة المعنى اي انه يضرب قلب الحقيقة ويصيب المعنى اصابة مباشرة . لا يحيد عنها ولا يبعد . وحسن التشبيه معناه ان يكون في المثل حياة وحركة . والا لكان ميتا . وفي الكناية سر المثل ، يبحث عن المعنى من بابه الخلفي . يفاجئه ويكشفه . ويرمز اليه من بعيد . تلك صفات اربع هامة في المثل ، فاذا ما تحققت فيه بدقة ووضوح ، كان المثل مثلا والا فلا .

ولكن كيف ينشا المثل ؟ يرتبط كل مثل معروف بقصة او حادث، او حكمة او شعر . فمن الامثال التي نشات عن حادث المثل المعروف « وافق شن طبقة » ومن الامثال التي نشات عن تشبيه المثل القائل « اجود من حاتم » ومن الامثال التي نشات عن حكمة المثل « باطل الاباطيل » والمثل « لا جديد تحت الشمس » .. الخ . اما الامثال التي نشات عن شعر منها « اعجز من ان يستبد » وغيره .

والامثال تصور الزمان والمكان والاخلاق لمجتمع ما . وتبين التقاليد والتاريخ . تصوره تصويرا لا زيف فيه ولا تضليل . فان شئت ان تعرف امة وتعرف تاريخها وعاداتها وتقاليدها فما عليك الا ان تدرس امثالها . وللامثال اسباب تضرب من اجلها . فقد يضرب المثل لتشريف انسان ورفعته . وقد تضرب للحط من قدره وقيمته . وقد يضرب للتعليل او التشبيه او غير ذلك من الاسباب وهو كثير .

ولقد عرفت العرب من قديم اهمية الامثال وقيمتها . واستبانت ما فيها من خير وفائدة لمن يجيئون من بعد . فقام مفكروها بجمعها في كتب صنفوها ودرسوها وشرحوها ، وما يزال الاهتمام نفسه قائما حتى اليوم .

ولعل هذا الكتاب نفسه نوع من الاهتمام بالامثال ودرسها وتحليلها. ولكن هذا الكتاب يختلف عن كتب سابقة بانه دراسة علمية موضوعية . حاول المؤلف فيها ان يضع كل مثل في مكانه وزمانه .. وابان عن سبب ضربه او وقوعه . واشار الى اللغة الام التي جاء عنها .. الى غير ذلك مما افتقرت اليه كتب كثيرة اختصت بالامثال واقتصرت على جمعها .

وشعوب الارض جميعا تتفق معا في انها مرت باطوار متشابهة . فاشتغلت بالرعي والزراعة والصناعة والتجارة . ولم يكن بين شعب وآخر من تفاوت الا بمقدار ما استفادوا من نتاج عقولهم او اهملوه . والدارس لامثال الشعوب يلاحظ ذلك بوضوح . فاذا كان التشابه في الامثال بين الشعب العربي والشعب الانجليزي واقع قريب . فكيف يكون بيننا وبين الشعب الفارسي او التركي مثلا . سيكون اكثر واقعا واكثر قربا .

ان الاطوار المتشابهة التي عاشتها شعوب الارض هي التي انتجت حكما وامثالا متشابهة . وكأن شعوب الارض ترشف من معين واحد وتنهل من مورد بعينه . فالانسان في كل زمان مدين لاخيه الانسان في كل مكان .

والمؤلف الباحث لا يكتفي بمجرد اطلاق مثل هذا الحكم ، ولكنه يؤكده ويثبته بدليل لا يقبل الشك من خلفه او من بين يديه ، فيورد لنا ما يربو على الف مثل انجليزي مقارنة بما يربو على الف مثلها من الامثال العربية ، والقارىء لهذه الامثال ، بعد ان يفرغ من قراءتها وفهمها ، لا يجد بدا من ان يوافق المؤلف على رأيه ، من ان الاطوار المتشابهة التي عاشتها الامم انتجت حكما وامثالا متشابهة او تكاد تكون كذلك . مما يؤكد في الوقت نفسه ان الانسان هو الانسان . وما ينفع الانجليزي ينفع العربي وما يضر الاسود يضر الابيض ، وآه لو فهم العاقلون .

القاهرة **راضي حكيم**

•

العكسية

تأليف السيد حامد جاد الكريم — ١٣٢ صفحة — قطع كبير — طبع مركز التدريب المهني للطباعة بالاسكندرية ، نشر ؟

اعتقد ان المؤلف قرأ لتوفيق الحكيم كتابه « التعادلية » ومن ثم رأى ان يكتب هو الآخر عن نظرية يراها جديدة ويراها ايضا جديرة بالنشر، فكان ان قدمها للناس في هذا الكتاب بعنوان « العكسية » ويعرضها بقوله :

« لا شك اننا نلاحظ العكسية في كل شيء في الكون ، وكل شيء تراه او تدركه مباشرة وغير مباشرة، تجد ان له عكسا، واعني بالعكسية، الاختلاف الكامل بالتساوي فشرط الكون ، هو الازدواج المتعاكس بين طرفين متناقضين ، كل منهما ينقض الآخر كي يصل الى حالة الكمال والتعادل والاتزان الكوني » .

ثم ينتهي الى القول « بان مصدر بقاء كل شيء يكمن في وجود عكس له يسبب عدلا وتوازنا كونيا » ...

ذلك هو موضوع الكتاب الذي حاول المؤلف بعد ذلك ان يفسره بقدر طاقته . وانا لا اعرف للاستاذ المؤلف سابقة في البحث العلمي او الادبي وكنت اود لو انه نشر كتابه هذا على شكل مقالات في المجلات المختصة فربما استفاد مما كان يمكن ان يوجه اليه من نقد او توجيه او اضافة لموضوع بحثه ، وبذلك يخرج للناس وهو اقرب الى الكمال وبخاصة ان المؤلف اخبرني انه لم يطلع على مراجع يمكن ان ينتفع بها في هذا الموضوع . فاذا ثبت انه لا توجد مراجع بالفعل ، فان احتكاك العقول ، يصبح ضرورة لازمة لالقاء الضوء على خفايا مثل هذا البحث.

على اني — وان كنت من غير المختصين في هذا الباب — اقول بأني استمتعت — الى حد ما — بهذا اللون من الوان التفكير الذي اطلع عليه لاول مرة .

الاسكندرية **عبد العليم القباني**